

# الفِرُّ الْمُعَاَصِرُ

صُورُهُ وَأَثَارُهُ .. فَلَسَفَتُهُ وَأَحْكَامُهُ

د. علي بن حمزة العمري

رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة  
الأمين العام لرابطة الفن الإسلامي العالمية

[www.ALOMAREY.net](http://www.ALOMAREY.net)

Email: [Ali@4shbab.net](mailto:Ali@4shbab.net)

الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
الطبعة الأولى  
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

معهد مكة المكرمة بجدة

هاتف : ٠٠٩٦٦٢٦٢٣٠٠٧٧

فاكس : ٠٠٩٦٦٢٦٢٣٠٠٥٥

ص.ب (٣٥٠٢٣) جدة (٢١٤٨٨)

www.MAKKAHACADEMY.net



دار الأمة للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة في العالم لدى



الموزعون 0554481905  
0544046062



للتواصل 01 2481905  
02 6810578  
alomah@gawab.com



نتواجد  
دار الأمة للنشر والتوزيع 01/2481705  
دار الاندلس الخضراء / جدة  
02/6815027

إن كان الفن يعلم شيئاً للفنان فهو خصوصية الوضع الإنساني!

جوزيف بروودسكي. محاضرات نوبل (٣٥٢).

الصدق في الفن جوهر بلاغته، وسر دوامه.

أحمد حسن الزيات. رحي الرسالة. (٢/١).

نحن نبدع الفن كي لا نموت بسبب الواقع!

نيتشه. متعة الحديث (٥٣/٢).



## فلسفة الفن

لا تسل ما شَجُو لِحني  
فما يُؤذيك مَنِّي؟  
وإن شئت مُغَنِّي  
وأحياناً أهَنِّي  
ومن قلبي التمني  
كيف ترضى أنت عني؟  
ويُضنني ويُعنِّي  
كما شئتُ أغَنِّي<sup>(١)</sup>

لا تقل ما دمع فَنِّي  
منك أبكي وأغَنِّيكَ  
سمّني إن شئت نَوَاحاً  
فأنا حيناً أعزبك  
لك من حزني الأغاريدُ  
أنا أرضي الفنّ لكن  
كل ما يُشجيك يُبكييني  
فاستمع ما شئت واتركني



(١) ديوان عبدالله البردوني، (٦٤/١).

## سلسلة الثقافة الحيوية

موضوعات حيوية، تأصيلات شرعية، إحالات علمية، خلاصات مركّزة، تقسيمات موضّحة، مراجع متنوعة، لطائف مشوّقة، عبارات مبسّطة، أفكار فاعلة، مناقشات هادئة، هي للمتخصص مراجعة دقيقة، وللباحث وثيقة مفيدة. هدفها الأساسي مخاطبة الشباب، بالمنقول والمعقول، والمختصر المفيد، ولذا فإن صفحاتها مقنّنة لغاية محدّدة.



إهداء

إلى صديقي الودود اللّود  
عبدالله أحمد السليمان  
عسى أن يقرأ فصلاً أو فصلين!







## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

كان أحد زملائي الأحبة يلومني على أنني عُرفت في وسط الناس والمتابعين في الآونة الأخيرة بالأمين العام لرابطة الفن الإسلامي أكثر من معرفتي بالداعية أو الشيخ!  
فقلت له: لماذا برأيك؟

قال: لأنك اشتغلت بهذا الموضوع كثيراً.

قلت: هذا موقعي الإلكتروني بين يديك، فيه أبحاث فقهية، وتحقيقات علمية، ومحاضرات تربوية، وخطب وعظية، واستشارات اجتماعية، ومقالات دعوية، ونشاطات شبابية، وأعمال خيرية، وبرامج تلفزيونية...!

فسكت هذا الصديق، وتبسم بحب، وشكر بلطف!

الفن لا يفتش عن داعية أو واعظ، الفن يبحث عن جمال وغاية.

الفن قبل كل شيء موهبة وإبداع وعبقرية.

ثم هو الغاية الذي يحوله إلى حراك مؤثر.

وأذكر عندما سألني أحد الصحفيين، ما هو الفن الذي تحب أن تسمعه وتشاهده.

قلت: الفن الذي لا يرفضه الإسلام!

الفن في حياة المجتمع المسلم لون من ألوان النشاط الإنساني الطبيعي، ونافذة تطلُّ على ساحة المؤمن تكمل نظرتَه للحياة وتفاوُلُه فيها!

فالمجتمع المسلم كان يسمع الغناء الحلال، ويتبارى الشعراء بما لديهم في الأسواق والأندية، وربما يرقصون معه ويبتهجون به في مسراتهم.

الفن بكل صوره إبداع بشري، وانفعال فطري، ليس له حد عند المسلم الواعي إلا ما حده الإسلام فحسب.

تياره متدفق، وساحته عامرة، وروحه متألقة، ونجواه ساحرة، وآفاقه واسعة. ليس مرتيناً لقضية دون أخرى، وليس مربوطاً بحادثة تاريخية، أو ثقافة محلية.

ولفك الالتباس في مفاهيم الفن المعاصر، ولنزع النقاب عن الصورة التي أفسدته، والمعلومات والآراء المغلوطة التي أفقدته قيمته ودوره، ها أنذا أقدم هذا الموضوع (الفن المعاصر... صورته وآثاره... فلسفته وأحكامه). مضيت فيه على نفس هذه السلسلة، ورسالتها التي أعدت لها.

وللتأكيد: فهي سنوات متواصلة في قراءة متأنية، ونقاشات جادة، يجد القارئ على وجازتها دقة ألفاظها ومراجعها. مزجت التأصيل بما يراد تفعيله، وذوّقت بعض النقولات للإمتاع، وذكرت الشواهد لبيان المفسد من المصلح.

ولعل صاحبي بعد هذه الرسالة يدرك لماذا حرص المستشرق  
الهولندي (رينهارت دورزي) الذي اكتشف النسخة الوحيدة من مخطوطة  
(طوق الحمامة في الألفة والآلاف) للفقير العبقري ابن حزم أن يقول  
في كتابه (تاريخ مسلمي الأندلس) بعد قراءته لها:  
إِنَّ النَّفْسَ الْعُذْرِيَّ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ مَرْدَّةٌ إِلَى أَنْ ابْنِ حَزْمٍ إِسْبَانِي  
مسيحي!!

المؤلف

أندونيسيا: ١٤٢٩/٦/٤هـ

[www.alomarey.net](http://www.alomarey.net)

Email: Ali@4shbab.net





## الفصل الأول

### ● رحلة الفن:

قبل أن تتداخل كلماتي في المساجلة الفقهية حول تأصيل قضية الفن بمفهومه المصطلحي اليوم، فإني أرى أن ثمة حاجة ملحة ابتداء لتأصيل الترابط الفطري والتجانس الروحي والانسجام الفكري، بين المباح من الكلام الجميل المتقلب بأوتاره وأجوائه في حنجرة الحادي وبين تجاوب النفس السوية، أو بين ما يسر النظر من جمال خلقية طبيعية أو بشرية وبين راحة النفس وطيب العيش!

لأن التفاهم إذا حصل بين الإنسان والحياة، كان الوداد، وجمال البقاء.

لو كان لي ألف ذراع

لضممت الأرض إلى صدري

وأغمضت عيني في شغف<sup>(١)</sup>.

---

(١) أغاني الخبرة والحيرة والبراءة، د. عبد الوهاب المسيري (٧).

وحينها تكون الرحلة الحياتية في الرخاء أو الشدة، أو بين  
أحضان الأهل أو في المنفى، نغمًا عذبًا شجيًا ولو على أوتار الحزن:

حببتي أينما أقلعتُ مرتحلًا  
فأنتِ رغم النوى القاسي محطاتي  
أطوي البحار بفُلك لا قرار له  
كالسندباد امتطى موج المحيطات  
ونبض روحك وسط التيه بوصلتي  
ونور وجهك في الظلماء مرآتي  
وأنتِ في الغيم برق عاش يؤنسني  
في يقظتي وطيوفٍ في مناماتي  
أراك في رحلة الآفاق وامضة  
سمًا تجلت وبدراً وسط هالات  
كم مربع في أقاصي الشرق طفت به  
وكم حَلَلْتُ بأدنى الغرب واحات؟  
فما نزلت بدار ولا جِلِلِ  
إلا وأنت أساريري ولوحاتي  
وكم تمنيت لو أني أطير إذن  
حملت فوق جناحي عرش مولاتي  
حببتي أنت حب لا شريك له

## حملته بين قاعات المطارات<sup>(١)</sup>.

إن رسائل الفن بحيويتها وطبيعتها ترتبط بالجمال، ودفق المشاعر. وهي بهذا المعنى تعبير الفلاسفة كما عند سقراط وأفلاطون، حينما ربطوا الفن بالحق<sup>(٢)</sup>.

والحق عند النفس ليس فيه أي مجال للغش أو المخادعة، إنما ما يطرب القلب، ويحرك لواعج النفس، دون أن يُصرف لضياع عمر أو نسيان حق.

ولعل الصورة القاتمة اليوم وخاصة في عصر الفضائيات شوشت مفهوم الفن على كثير من الفضلاء فضلاً عن غيرهم، حتى صار الفن والشيطان قرينين!

ونحن لو تتبعنا ما في ثقافتنا الإسلامية حول الفن لوجدنا أن البحث فيه ينحصر بشكل رئيس في باب السماع من أبواب الفقه، وذلك في مواطن مختلفة فمرة تحت باب الغناء، ومرة تحت باب العيدين، ومرة تحت باب النكاح... ولربما وجدناه في كتب الآداب وغيرها<sup>(٣)</sup>.

ولكن المفهوم الشامل لمعنى (الفن) يتمدد إلى زوايا عدة من المنظورات كالمسرح والعمارة والصورة والرسم، إلى المسموعات من الغناء وآلات اللهو، إلى الإبداعات من قصة ورواية، بل إلى ما يمكن أن يتألق من فن كتابية أو إلقاء.

---

(١) خواطر تلميذ مقموع، د. عبدالله الحامد (٩).

(٢) انظر: بحث د. صالح بن حميد، ضمن فعاليات مؤتمر: الدعوة والفن، الذي أعدته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض.

(٣) انظر: الإسلام والفنون، د. أحمد الريسوني (١٣).

## ● وحول مسألة الفن يمكن أن نسجل الحقائق التالية :

١ - إن كلمة (الفن) في مدلولها اللفظي تعني الإبداع والتجدد، واستخدمها العلماء فسّموا بعض كتبهم «الفنون» للدلالة على صور الإبداع في الجمع، والإبداع في المضمون، والتجديد في الصناعة<sup>(١)</sup>.

والمعنى الدال على (الفن) في القديم هو مصطلح (الصناعة)، فقد كانوا يقولون قديماً «صناعة الأدب» و«صناعة الشعر»، ومن كتب المتقدمين الدالة على هذا المعنى كتاب «الصناعتين: النظم والنثر» لأبي هلال العسكري، وغيره<sup>(٢)</sup>.

ومن كتب المتأخرين كتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» لعالم السودان وأديبها البروفيسور عبدالله الطيب الذي قال عنه الأستاذ الدكتور طه حسين: «هذا كتاب ممتع إلى أبعد غايات الإمتاع، لا أعرف أن مثله أتيح لنا في هذا العصر»<sup>(٣)</sup>.

٢ - على امتداد ساحة الفكر العربي والإسلامي، تصاعد الجدل ولا نقول نشأ، حول الموقف من الفنون. ولم يعد بحثاً في مسائل فقهية تراعى فيها أقوال الفقهاء، بل تحوّل إلى ممارسات يمكن أن تلغي أو تحجّم رأي طرف على حسب طرف، حتى وصل الأمر إلى حرب فكرية فقهية، دون وصول الفرقاء أحياناً ولو إلى ما يصحّ أن يبقى جميلاً، وما يمكن أن يكون من الخنا والفساد والفسق والانحلال!<sup>(٤)</sup>.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٣٤٧٦/٥).

(٢) الفن الإسلامي... التزام وابتداع، صالح الشامي (١٧).

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب (٧/١).

(٤) انظر: الإسلام والفنون الجميلة، د. محمد عمارة (٦).



٣ - رغم أهمية الفن وأثره في تشكيل الهوية، إلا أنك - وللأسف - لا تجد إلا القليل ممن كتب عنه بمفهومه الشامل. وإنك لواجد كتاباً يبحث في فلسفته لا في تأصيله، أو في تأصيله عند جهة لا في تأثيره، أو في مبحث من مباحثه بمنهج كاتبه ومحدودية مصادره!. وإني لأسجل كلمة للتاريخ: على طول قراءتي واتصالي بهذا الموضوع تأصيلاً ومتابعة لما كتب، رأيت من النادر من جمع في كتابته بين التأصيل الشرعي، والاستقصاء الجمعي، والتحقيق العلمي، والفهم المعرفي. هذا عدا من بدّع الحديث في الفن الإسلامي!!

٤ - صار الفن اليوم مجالاً مهماً ومورداً كبيراً للعمل التجاري والسياسي! وقديماً كانت الصناعات المشتهرة في بعض البلدان كعمان مما يرحل إليها، حتى أن عدداً من الأقطار في منطقة الخليج، كالكويت مثلاً، كانت تبعث بالزجاجات والقناني إلى عُمان، لطلائها بالفضة! وكانت مدينة (نِزْوَى) هي مركز هذه العملية، كما كانت منذ وقت بعيد، مركزاً هاماً من مراكز التجارة وصناعة الفضة.

وكان السلطان قابوس، سلطان عُمان، قد أهدى إبريقاً من المصنوعات العُمانية الفضية والذي تبرز فيه النقوش والزخارف المعبرة والموشاة بالأشكال الجذابة، إلى هيئة الأمم المتحدة، وطول هذا الإبريق ٥٤ بوصة، ويزن ١١ رطلاً<sup>(١)</sup>.

### ● دلائل الفن:

إذا كان (الفن) في تعبير الإسلاميين هو: تعبير الإنسان عن الكون

---

(١) انظر: الصناعات الفضية في عُمان، روت هولي (٩ - ٥٣). ونحو هذا الموضوع، انظر: صياغة الذهب التقليدية في قطر، د. نجلة العزي.

والحياة والإنسان بما يتوافق مع التصور الإسلامي<sup>(١)</sup>.

أو هو: نقل أو إيصال أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين، بأسلوب جميل مؤثر، بحيث يوفر المتعة إضافة إلى التأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم<sup>(٢)</sup>.

أو هو: إبداع إنساني رفيع، ورسالة حياة، وهو محاكاة الإبداع الجمالي في مسيرة الحياة وميدان الوجود الأرحب، على يد مفكرين قادرين ذواقين لجوانب الجمال المحسن والمدرك<sup>(٣)</sup>.

فإنَّ (الفن) كأداة في تعريف الإسلاميين لا يختلف عن تعبير الغربيين.

يقول «تولستوي» - الروائي الروسي المشهور - عن الفن: إنه ضرب من النشاط البشري الذي يتمثل في قيام الإنسان بتوصيل عواطفه إلى الآخرين، بطريقة شعورية إرادية.

ويقول «رودان» الفرنسي: هو أسمى رسالة للإنسان لأنه مظهر لنشاط الفكر الذي يحاول أن يتفهم العالم وأن يعيننا بدورنا على أن نفهمه. وعند «مالرو»: الفن حرية وإبداع.

ويقول الفيلسوف الألماني «هيوجر»: إن مهمة الفن هي الكشف عن حقيقة الوجود.

وتقول المفكرة الأمريكية «سوزان لانجر»: إن مهمة الفن تنحصر

---

(١) تعريف الشيخ محمد قطب، كما في: منهج الفن الإسلامي (٦).

(٢) تعريف الأستاذ محمد شمس الدين صدقي، كما في: الفن الإسلامي... اتباع وابتداع (٣٦).

(٣) تعريف الأستاذ يوسف العظم، كما في: في رحاب الفكر الإسلامي (١٧٥).

في التعبير عن بعض المعاني العميقة بطريقة رمزية لا تتأتى لأية وسيلة أخرى من وسائل التعبير<sup>(١)</sup>.

إذاً النظرة للفن كأداة تكاد تكون بمعنى واحد عند المسلمين والغربيين.

بل وجدنا اقتباساً من الفنانين المسلمين لمصنوعاتهم وفنونهم الحرفية عن الفنانين المسيحيين، والعكس كذلك.

وفي المتاحف الشهيرة الغربية والعربية ما يؤكد ذلك، كمتحف اللوفر بباريس، والمتحف الوطني السوري بدمشق، وساهمت تلك الأعمال في تشكيل ونمو الوجهات الجمالية في الفن الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

بينما النظرة لأهداف الفن ووسائله تختلف اختلافاً جذرياً بينهما!

فمن ناحية التعريف يمكن أن نوجد الكثير من نقاط الاتفاق، بينما حين التطبيق سنجد الفرق الشاسع بينهما.

فالفن بمفهومه الشامل - صوتاً وصورةً وحرفةً وإبداعاً - يتبع في آرائه اليوم ما يمكن أن نسميه «نظرية الفكر المتجدد». فهو اليوم ليس تابعاً لملة أو فلسفة مفكرين، إنما هو يرزح تحت سطوة المال والهوى وسيطرة العقول والأفكار.

فالنصارى في ظل كنائسهم، واليهود في ظل معابدهم، لم تتسلل إليهم أهواء التفسخ والانحلال تحت حرية الفن والإبداع والجمال قروناً طويلة.

---

(١) انظر هذه التعريفات في: الفن الإسلامي. اتباع وابتداع (٢٦).

(٢) انظر: الفن الإسلامي والمسيحية العربية، شاهر لعبي (١٦٣).

ولما صارت طقوس الكنيسة جحيماً، وصار اليهود خليطاً  
وشذاذاً، انقلبوا وانمسخوا، وتحولت أوربة إلى الفكر الكلاسيكي  
والعقل الآلي.

وحينها انطلقت أوربة في حرية نشاطها الفني إلى أن غرقت في  
عنف الجريمة المجتمعي جراء زخمٍ فنيٍّ لا يلتزم بأي قيمة أو  
ضابط! (١).

وتدلّى شر أوربة وتدثّى للعرب، فهناك الشيوخ وهنا الأتباع...!  
ولأنّ عجز المسلمين وعوارهم بدا في زمن الضعف فقد نسوا  
لغتهم وعروبتهم، وغاب عنهم أن الفن لا يعني الغناء والطرب  
والتمثيل، بل يمتد إلى الأدب والشعر الذي تسلل إلى واقع الحياة بفكر  
تغريبي غريب، ولذا فقد كبر الخرق على الراقع فصار هناك «الأدب  
الحديث» و«الثقافة الإنسانية» و«الفكر الحر» و«صناعة النجوم»،  
و«الانفتاح الثقافي»...!

ومن خير ما يبين عن نبتة السوء التي زرعت في بلاد المسلمين  
تحت ظلال تلك المصطلحات، وما أسسه المتغربون من دعاوى حديثة  
مسّت القرآن والعقيدة تحت مسمى «صوت الألوهية» و«نتاج الغيبوبة» ما  
خطته يد علماء الأمة ومفكريها الواعين، ومن ذلك (٢):

---

(١) انظر الرسالة المفيدة «أوربة من التقنية إلى الروحانية» د. محمد سعيد البوطي،  
والرسالة القيمة الأخرى «معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة  
الأوروبية»، د. عبدالله علوان، والرسالة الماتعة جداً «علماء الأندلس  
إبداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوروبية» د. شوقي أبو خليل.

(٢) انظر الرسالة القيمة المتميزة: «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها»  
د. سعيد بن ناصر الغامدي.

١ - كتاب «أباطيل وأسمار»: للأستاذ العلامة محمود شاكر - رحمه الله - وفيه مناقشة علمية وأدبية واعتقادية لأوائل جذور الانحراف، وكشف عن جملة من المتغربين المندسين في ديار المسلمين، وخلفياتهم الفكرية، وتاريخ عمالتهم وارتباطهم بالمستعمر والكنيسة، وحقائق عن تلاعبهم العجيب بالألفاظ والمصطلحات.

٢ - كتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»: للدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله -، وهو من أجل الكتب وأنفعها في مضمار بيان أوجه الصراع بين التغريب والأصالة في هذا العصر، وتاريخ هذا الصراع، وامتداداته.

٣ - كتاب «الغارة على التراث الإسلامي»: للأستاذ جمال سلطان، وهو كتاب جليل النفع، من كاتب عرف بغيرته على الإسلام وقلمه الرصين.

وقد تحدث فيه عن المخططات التغريبية الحداثية والعلمانية الموجهة إلى التراث الإسلامي، وخلفيات الأحلاف الفكرية المشبوهة في حربهم لتراث الإسلام، وعمما يجري في بعض الجامعات في دولنا العربية.

٤ - كتاب «شخصيات وأفكار» للأستاذ الدكتور عدنان زرزور، ففي بعض موضوعاته توثيق دقيق، وتحليل قيم عن حقبة عاصرها المؤلف، وخبر أصحابها فكراً وتوجهاً وسلوكاً.

ويمكن أن نضيف كتابين صغيري الحجم عميقي المغزى، في بعض فصولهما بيان للمخططات، وفي الثاني منهما صور كاشفة لهجمة التغريب على العالم الإسلامي، هما:

كتاب «حراسة الفضيلة» للعلامة بكر أبو زيد - رحمه الله - ، وكتاب «هل يكذب التاريخ» للأستاذ الأديب عبدالله محمد الداود - مرفق صور - .

وفي تأمل لمفردة من المصطلحات المعاصرة في «الأدب المعاصر» لهؤلاء المتغربين من كتاب «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها» نجد ما فاهت به أفواه القوم في قصائدهم، وما صاغوه في رواياتهم وصحفهم ومجلاتهم - من أسماء كبيرة في عرف الإعلام - من عبارات الشقاء الإنساني، الذين صوروا الكتابة كلون من ألوان العبث المجنون اللامحدودة، وأن اليوم الآخر هو الموعود والغيبش الإلهي! إلى السؤال الحائر الدائر على لسان الأولين منهم والآخرين:

تعذبني حيرتي في الوجود  
وأصرخ من ألمي من أنا؟!

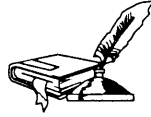
وقد عاصرت وعاشت وتعرفت على طبقات مختلفة في ميادين الفن، يُقرون بالإسلام ديناً لا سلوكاً، ويحبونه مشاعر وينسونه تطبيقاً!

وقد شدتني وأراحتني عبارة صديق أخرجتني من حيرتي وهمي عندما سألته عن قنوات فاضحة ومراقص ومراتع لهو لمسلمين، يدعون حب الإسلام ويرحبون بفعل الخير، ويؤدون الصلاة، وهم لا يتورعون عن منكر، ويرفعون الحجب عن كل رذيلة! فقال لي: أعرف في مجالس خلوتهم من يفتيهم أن صلاتهم تكفر ما فعلوه من لَمَم!!

وبعد، فهل يا ترى يصح بعد هذا كله أن نتجادل اليوم في قبول أو وجود ما يمكن أن يُسمّى بـ «الفن الإسلامي»؟!

وسواء وافقنا أو توقفنا عند التسمية، فلا أظن أننا سنقف حائرين

عند مضمون «الفن الإسلامي»، أو «الفن الملتزم» بأصوله المهنية، مع غاية المتعة، وجدة وجودة المضمون، وإبداع الرسالة، ما دام ذلك لا يتعارض مع التصور الإسلامي، الذي حد الحدود ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].



## الفصل الثاني

### ● مساحة الموضوع:

إن الحديث عن الفن يتفرع إلى صور وأشكال متنوعة، وما أود التركيز عليه في هذه الرسالة ما يكثر الحديث عنه، ويتسع الرأي لنقاشه، وتتطور مساحات إبداعه وتأثيره.

والحديث عنه ينقسم إلى قسمين:

قسم من الفن يحتاج إلى توسيع مدارك ليطل المسلمون على آفاقه الرحبة وتأثيراته الأقرب إلى الوجدان مع الشواهد المؤصلة لوجوده، كفن العمارة والزخرفة، والفن التشكيلي والخط العربي.

وقسم آخر يحتاج إلى حوار محترم، وتأصيل شرعي علمي واقعي موسّع منظم، يشمل عالم الإعلام من سينما وأفلام وموسيقى، إلى عالم المهرجانات والمعارض.

فأما القسم الأول فإني سأعرض له في ثنايا الحديث عن فلسفة الفن في الإسلام.

وأما القسم الثاني فهو الذي يحتاج لمزيد نقاش، وطول بحث،



وجميل حوار. ومسائل هذا القسم تتجدّد وتتفرّع، فقد دخل فن التسويق والتصويت وما شابههما في عالم «الفن» اليوم.

وهذا يجعلنا نشعر بخطورة البحث وعمقه واتساعه.

ولنشمر الساعد الآن لبيان الصورة المركّزة التي تجمع بين العمق والتحليل والتوجيه، والتي نؤمن بأنها ليست بالضرورة هي الصواب، وإنما هي نتاج البحث البشري. آمل أن تتحقق منها الغاية التي وضعتها لهذه السلسلة.

والآن إلى البيان.

أولاً: الفنون اليدوية:

وهي ما أبدعته يد الإنسان من رسم ونحت وزخرفة وخط.

وتتلخص أحكامها فيما يلي:

١ - جواز رسم كل ما ليس من ذوات الأرواح (كالنباتات، والجمادات، ...)، وهو محل إجماع، كما قال الإمام النووي: أما صورة غير الحيوان مثل صورة الشجر والحجر والنهر فلا خلاف في إباحته<sup>(١)</sup>.

٢ - جواز رسم صورة غير كاملة لذوات الأرواح (الإنسان، الحيوان)، كجسمه الأعلى أو وجهه...، لقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «إلا رقماً في ثوب»<sup>(٢)</sup>.

والمقصود به عند بعض المحدثين: إلا جزءاً من صورة مرسومة

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨١/١٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٩٥٨)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

لذوات الأرواح. وفهم منه بعض الفقهاء جواز رسم الصورة الكاملة  
لذوات الأرواح إذا كانت مصورة في ثوب، وأنها مستثناة من النهي<sup>(١)</sup>.

٣ - وأما رسم صور كاملة لذوات الأرواح (الإنسان، الحيوان)  
فقد جاء النهي عنه سواءً كانت الغاية منها مضاهاة خلق الله، أم مجرد  
الاستئناس بها وتعليقها في البيوت، والمسألة ليست إجماعاً كما  
سيظهر، وأما النهي:

لقول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»  
وفي رواية: «ولا صورة»<sup>(٢)</sup>.

ولفعله ﷺ عندما دخل على عائشة رضي الله عنها وقد نصبت  
سترأ فيه تصاوير، فنزعه، وقال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين  
يضاهون بخلق الله». قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين<sup>(٣)</sup>.

إلا أن الحكم في النهي يتردد بين التحريم والكراهة لعل وجود  
الصورة. فعن عائشة رضي الله عنها، كان لها ستر فيه تمثال طائر،  
وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي رسول الله ﷺ: «حولي هذا،  
فإني كلما دخلت فرأيت ذكرك الدنيا»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨٢/١٤). وانظر مناقشة د.  
عبدالكريم زيدان تأويل الحديث بأن المقصود به صورة الشجر، كما في  
موسوعته القيمة «المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة  
الإسلامية» (٤٦٨/٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٩٤٩)، ومسلم برقم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٤) رواه مسلم (١٦٦٦/٣).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: كان في بيتي ثوب فيه تصاوير فجعلته إلى سهوة في البيت فكان رسول الله ﷺ يصلي إليه ثم قال: «يا عائشة أخريه عني» فنزعته فجعلته وسائد<sup>(١)</sup>.

٤ - وتجوز هذه الصور المرسومة إذا كانت ممتهنة، أي في بسط الأرض، إجماعاً<sup>(٢)</sup>.

٥ - كما يجوز رسم الصورة كاملة إذا قطع رأسها لحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه:

استأذن جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وقال: «ادخل». قال: «كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رؤوسها أو تجعل بساطاً يُوطأ...»<sup>(٣)</sup> رواه النسائي.

٦ - وأما رسم صور أفلام الكارتون سواء باليد أو بالكمبيوتر، فهناك رأي يأخذ فيها حكم ما سبق بيانه، ورأي آخر بالجواز بناءً على ثلاثة اعتبارات:

الأول: القياس على الإذن بلُعب الأطفال المجسمة، ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: «قدم رسول الله ﷺ من غزوة وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشف ناحية الستر عن بنات لعائشة «لُعب»، فقال ﷺ: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي ورأى بينهن فرساً له جناحان

---

(١) رواه النسائي (٢١٣/٨).

(٢) انظر: الحنفية «البدائع» (١٢٦/٥)، والمالكية «التمهيد» (٣٠١/١)، والشافعية «شرح صحيح مسلم للنووي» (٨١/١٤)، والحنابلة «كشاف القناع» (١٩٠/١).

(٣) رواه النسائي (١٩١/٨).

من رفاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس. قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه»<sup>(١)</sup> رواه أبو داود.

وهذه الرخصة في اللعب والتماثيل المجسمة عامة للأطفال الصغار ذكوراً وإناثاً، وعلتها التعليم والترفيه البريء.

وأفلام الكارتون المصورة ذات المغزى النافع هي من هذا الباب المباح للصغار.

الثاني: أن صور بعض هذه الأفلام الكارتونية غير مطابقة للحقيقة، والصورة غير المطابقة للحقيقة لا يشملها النهي.

الثالث: أنها مما تدعو إليه الحاجة، وخاصة في هذه الفترة من عصرنا.

والاعتبار الأول كافٍ في الدلالة على جوازها، والثاني والثالث غير منضبطين، إلا إذا روعيت فيهما القواعد الفقهية والأدلة الأصولية<sup>(٢)</sup>.

٧ - ومن أنواع الرسم «الكاريكاتير»، وهو في المآل رسم غير حقيقي للإنسان، كرسم بطن كبير، أو أنف طويل، أو صور متداخلة أو رمزية.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٨/٣).

(٢) في رسالتي للماجستير المعنونة بـ «فقه الضرورة والحاجة بين القواعد الفقهية والأدلة الأصولية وتطبيقاتهما المعاصرة» مزيد بيان لموضوع أفلام الكارتون، وتأصيلها فقهياً وأصولياً وأقوال المعاصرين فيها.

وهو بهذا المعنى مباح، لأنه ليس صورة حقيقية.

وكيف لو أضفنا إلى فن (الكاريكاتير) بعداً نفسياً لأنه يرتبط بالمرح المبتكر، وبعداً تنفيسياً للأزمات السياسية، وما حادثة (ناجي العلي) في لندن عنا ببعيد!<sup>(١)</sup>.

٨ - والنحت كالرسم في مسأله ما لم يصير تمثالاً فحكمه حكم التماثيل التي إن كانت مجسماً كاملاً لذوات الأرواح فهي محرمة إجماعاً، وإن كانت لغيرها جازت.

وقد ذكر بعض المعاصرين كالشيخ محمد عبده وغيره أن علة تحريم التماثيل كانت لعبادة الأصنام، وقد اختلف الواقع عن هذا المفهوم.

إلا أن لجنة الأزهر لم تقبل هذا الرأي ولم تأخذ به، على اعتبار أن الصحابة خوطبوا بهذا الحديث وقد عرف عن استقامتهم ما عرف، حفاظاً لجانب التوحيد<sup>(٢)</sup>. كما زاد الشيخ القرضاوي في التوضيح حول هذا الفهم بقوله: «لا يزال في عصرنا من يعبد الأصنام... من يعبد البقرة ويعبد المعز. فلماذا ننكر الواقع؟...، والناس لا يزالون يؤمنون بالخرافات، والعقل الإنساني فيه نوع من الضعف ويقبل أحياناً ما لا يصدق، حتى المثقفون يقعون في أشياء هي من أبطل الباطل، فالإسلام احتاط وحرم ما يوصل إلى الوثنية أو يُشَم فيها رائحة الوثنية، ولهذا حرم التماثيل»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: المقالة الجميلة للأخ الفنان مسلم الزامل عن موضوع (الكاريكاتير) في: (الابتكار طعم آخر للحياة) للشيخ: عبد الحميد البلالي (٢٢٤).

(٢) مجلة الأزهر، عدد رجب (١٣٧٠هـ).

(٣) فتاوى معاصرة، د. يوسف القرضاوي (١/٦٩٧).

وإن كان هذا هو رأي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين العلامة الشيخ: يوسف القرضاوي، إلا أن رأي نائبه يبدو مختلفاً!

إذ يرى سماحة العلامة الشيخ عبدالله بن بيه جواز الصورة المجسمة كاملة وأن النهي معلل بمضاهاة خلق الله، ومما قال: «ومما يرجح بناء النهي على المقصد استثناء الرِّقْم في الثوب والممتهن من الصور أو التي يقصد بها تدريب على تربية الأطفال لو كانت مجسمة كاملة مما يدل على اعتبار المقصد.

وكذلك في مضاهاة خلق الله فإنه إذا وجد مقصد آخر من المقاصد المشروعة فإن المنع يرتفع ويصبح جائزاً وعلى ذلك يحمل ما ذكره النحاس وابن الفرس من الجواز عند قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَآ يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمْثِيْلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُوْرٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ﴾ [سبا: ١٣]، وكان خاتم النبي دانيال على فسه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل، وأعطاه عمر لأبي موسى الأشعري.

كما عند ابن أبي الدنيا وعبدالرزاق في مصنفه، وقال ابن كثير إسناده حسن.

وكان نقش خاتم حذيفة رضي الله عنه كركيان متقابلان وبينهما الحمد لله، كما في المطالب العالية لابن حجر العسقلاني، والكركي: طائر.

وكان نقش خاتم أنس رابض حوله دراس كما في مصنف ابن أبي شيبة، كتاب اللباس والزينة.

وكان نقش خاتم عمران بن حصين، رجلاً متقلداً بسيف، ونقش

خاتم النعمان بن مقرن، إيلاً، قابضاً إحدى يديه، باسطاً الأخرى، كما في شرح معاني الآثار للطحاوي. وغير ذلك مما استفاد عنهم في كتب الآثار»<sup>(١)</sup>.

ومع قيمة هذا النقاش لا بد من النظر في واقع الناس اليوم، وجراتهم على الحرام، والإغراق المفضي إلى اتخاذ هذه الوسائل للتعظيم والتفاخر أو للعبادة، حتى عدَّ النصارى أنفسهم اتخاذ الصور والتمثيل في دور العبادة محرماً!

وقد نبه إلى خطورة هذا الواقع المفكر الكبير (أمين الخولي) في كتابه العظيم (صلة الإسلام بإصلاح المسيحية)، عند عرضه للمشروع الإصلاحي المسيحي، الذي قدمه (مارتن لوثر) للرأي العام، ومن بنود مشروعه:

«عدم اتخاذ الصور والتمثيل في الكنائس وعدم السجود لها، فذلك أقرب ما يكون إلى الوثنية»!!<sup>(٢)</sup>.

٩ - والنحت جاز أن يكون على أي شيء مباح ما لم يكن على ذهب أو فضة لغرض وضعه للزينة.

١٠ - والزخرفة تجمع بين الرسم والخط وهي في المآل تتبع مسائل الرسم في الحكم.

١١ - لوحات الفنون التشكيلية هي في حقيقتها رسم في أي صورة من صورها رمزية أو غير رمزية، وحكمها تابع لمآل الصورة.

---

(١) بحث في حكم التمثيل، العلامة: عبدالله بين بيه، ص: ٢ (مخطوط).

(٢) صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي (٢٩).

«والفن التشكيلي في ريشة الفنان ليس مجرد ألوان مجردة،  
وخطوط جامدة، بل هو فن منتزع من عالم الحياة والأحياء تقاس  
الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي  
تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد طبيعية تخلع عليها  
الحياة»<sup>(١)</sup>.

وأنت قد ترى صورة تشكيلية لمنظر غروب الشمس وقرصها يكاد  
يسقط في البحر العميق، فتتذكر قول الشاعر:

تريدين لون حنيني إليك؟ إذن طالعي الشمس عند المغيب<sup>(٢)</sup>

وقد ترى صورة مقابلة لبزوغ الشمس، فتسبح مع قول  
الشاعر<sup>(٣)</sup>:

وقد قدّ درع الليل صمصامه الفجر	ويوم به استيقظت من هجعة الكرى
ترنم عصفور يزقزق في وكر	فأطربني والديك مُشج صياحه
رويداً رويداً في غلائلها الحمر	وقد طلعت شمس النهار بهيجة
تسيل على وجه الثرى ذائب التبر	غدت ترسل الأنوار حتى كأنه
صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري	إلى أن جلت في نورها رونق الضحى
إلى حيوان الأرض والنبت والزهر	وأهدت حياة في الشعاع جديدة
ألا إن هذا الشعر من أبدع الشعر	فقلت مشيراً نحوها بحفاوة

وشتان بين الحالين . . . !

---

(١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (٣٤).

(٢) «أبيات القصيد»، د. غازي القصيبي (٣٤).

(٣) الأبيات لشاعر العراق الرصافي، كما في «آفاق الجمال» للأستاذ محمد  
الراشد (٦).



وتحضرني هنا قصة الداعية الشيخ أحمد القطان الذي طلب منه رجل يسمى «عبدالعزیز الجیران» حضور افتتاح معرضه للفن التشکيلي، فوافق الشيخ على حضور المعرض وتجول في عالم الصور المختلفة «السريالية، الانطباعية...» واستوقفته صورة تظهر فيها مجموعة من قدماء أهل الكويت، والعلم يرفرف على قارب الصيد، وتظهر صور أسوار الكويت القديمة، مع ألوان متداخلة هادئة... فقال صاحب الصورة للشيخ أحمد: هذه اللوحة تدل على طيبة أهل الكويت، وجههم لفعل الخير وطلب الحلال، وحفاظهم على تراثهم ووطنهم... وعند وداع الشيخ للمعرض كتب في سجل الزوار العبارة التالية: أسأل الله أن يجعل من ريشتك كلمة حق تنطق بأرواح المدافع!

ومرت الأيام وقلَّب (عبدالعزیز الجیران) هذه الصفحة، وعملت في قلبه وعقله عملها، وكانت سبباً في هدايته، وهو اليوم علم من أعلام الدعوة والعمل الخيري في أرض العطاء والتضحيات، أرض الكويت.

وثمت قصة أخرى رائعة ومؤثرة لـ (محمد عالي ولد فتى)، وهو شاب في بداية العشرينات من العمر، يعمل مصمم صحف في شبكة صحراء ميديا الإعلامية، كما يعمل بمجال صيانة الأجهزة الإلكترونية. تحول هذا الشاب من شخص مشاكس، يعيش حياة منفتحة أكثر من اللازم، إلى حياة جديدة بالكامل.

يقول محمد: «كانت حياتي مليئة بأخطاء الشباب وهفواته، فيما يتعلق بالمضمون، وأما من ناحية الشكل، كانت هيئتي أقرب إلى هيئة رجل العصابات، أما اليوم فقد انتقلت إلى حياة الإيمان والاتزان والرزانة والتقوى».

محمد عالي أقلع في رمضان عن طريقة حياته السابقة، واتخذ لنفسه هيئة الشاب المؤمن، الذي يتجاوز المظاهر إلى المضامين والمعاني، ويكثر من قراءة القرآن والسيرة وأحاديث النبي ﷺ، لقد تغير الشاب وتغيرت صورته، لدرجة أن مقارنة صور اليوم بصور الأمس، قد تصيب بالدهشة!

### ● بداية التحول:

يقول محمد عالي عن هذا التحول الجذري الذي حصل في حياته: لقد قرأت قصة جميلة وملئية بالمعاني والموعظة في أحد الكتب الغربية المترجمة، وفكرة هذه القصة باختصار هي أن أحد حكام إيطاليا دعا فناناً تشكلياً شهيراً، وأمره برسم صورتين مختلفتين ومتناقضتين عند باب أكبر مركز روحي في البلاد. الحاكم أمر الرسام بأن يرسم صورة ملاك، وأن يرسم مقابلها صورة الشيطان، لرصد الاختلاف بين الفضيلة والخطيئة.

وقام الرسام بالبحث عن مصدر يستوحي منه الصور، وعثر صدفة على طفل بريء وجميل، تطل السكينة من وجهه الأبيض المستدير، وتغرق عيناه في بحر من السعادة، فذهب معه إلى أهله، واستأذنهم في استلهاهم صورة الملاك من خلال جلوس الطفل أمامه كل يوم حتى ينهي ذلك الرسم العملاق مقابل مبلغ مالي، وبعد شهر أصبح الرسم جاهزاً، ومبهراً للناس، وكان عبارة عن نسخة من وجه الطفل، مع قليل من إبداع الفنان، ولم يرسم أروع منه في ذلك الزمان.

وبدأ الرسام في البحث عن شخص يستوحي من وجهه صورة الشيطان، وكان الرجل جاداً في الموضوع، لذلك بحث كثيراً، وطال بحثه لأكثر من عشرين عاماً، حتى أصبح الحاكم يخشى أن يموت

الرسام قبل أن يكمل التحفة التاريخية، لذلك أعلن عن جائزة كبرى ستمنح لأكثر الوجوه إثارة للرعب والقبح، ولا توجد به ذرة من إنسانية أو أخلاق. وقد زار الرسام السجون والعيادات النفسية، والحانات وأماكن المجرمين، لكنهم جميعاً كانوا «بشراً» وليسوا «شياطين».

وذات مرة عشر الفنان فجأة على «الشیطان»، وكان عبارة عن رجل سيئ يتلغ زجاجة خمر في زاوية ضيقة داخل حانة قدرة، اقترب منه الرسام، وحدثه حول الموضوع، ووعدته بإعطائه مبالغ هائلة من المال، فوافق الرجل، وكان قبيح المنظر، كرية الرائحة، أصلع، وله شعرات نبتت في وسط الرأس كأنها قرون الشيطان، وكان عديم الروح، ولا يأبه بشيء، ويتكلم بصوت عال، وفمه خال من الأسنان، وفرح به الحاكم، لأن العثور عليه سيسهم في استكمال العمل في واجهة الصرح الروحي!

### الطفل والشیطان...

وجلس الرسام أمام الرجل وبدأ يرسم على وجهه ملامح الشيطان، وذات يوم التفت الفنان إلى «الشیطان» الجالس أمامه، وإذا بدمعة تنزل على خده، فاستغرب الموضوع، وسأله ما إذا كان يريد أن يدخل أو يحتسي زجاجة خمر، فأجابه بصوت أقرب إلى البكاء المختنق: «أنت يا سيدي زرتني منذ أكثر من عشرين عاماً، حين كنت طفلاً صغيراً، واستلهمت من وجهي صورة الملاك، وأنت اليوم تستلهم مني صورة الشيطان، لقد غيرتني الأيام والليالي حتى أصبحت نقيض ذاتي!». وانفجرت الدموع من عينيه، وارتمى على كتف الفنان، وجلسا معاً يبكيان أمام صورة الملاك، وسالت دموع الفنان.

ويضيف محمد عالي: «عندما قرأت هذه القصة، بدأت تسري

بداخلي موعظة عجيبة، وتفكرت في أمور الخلق والكون، وبدأت أتغير بالكامل، رغم أنني لم أكن «شيطاناً» في حياتي، بقدر ما كنت أعيش حياة الشباب المفعمة بالأخطاء، ورغم أن القصة غريبة، إلا أنها ساعدتني كمسلم على ترسيخ الإيمان في قلبي، لأنها في النهاية تدل على قدرة الله على تغيير البشر، إذا لم يلتزموا بتعاليم دينه ولم يحترموا حدوده.

منذ رمضان قبل الماضي، يقول محمد عالي، بدأت في تغيير شكلي ومضموني، والشكل في حد ذاته ليس مهماً بالدرجة الأولى، ولا يدل على الحقيقة، لكنه إذا كان صادقاً، فهو يُسهِّم في التعبير عن حالة الإيمان الصادق والالتزام<sup>(١)</sup>.

ومن هنا تبدو الحاجة ماسة إلى أن نفهم أن الفن في حد ذاته تجربة إنسانية تيسر العلاقات بين مفردات البيئة وعناصرها كما أنه يعكس روح النظام الذي هو أساس الجمال، ومن خلاله يتطبع الناس بعادات الفن بمعنى تحويل مظاهر البيئة إلى نظام مريح لحواس الإنسان ولفطرته السليمة<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا القول: إن الفن الهادف أداة لحياة الفطرة السليمة.

وبالتالي فإن قصر مواد الفن المفروض في كليات الفنون في المستويات الجامعية على جملة من الطلاب أورث نوعاً من العزلة بين الفن وبين مشكلات المجتمع وقضايا الراهنة، وتوظيفه للتعايش السلمي والتعبير الراقى عن الذات والحياة!

---

(١) مجلة سيدتي، شهر شوال ١٤٢٩هـ.

(٢) انظر: ضرورة الفن في التعليم الجامعي، د. حنان دقمان (٩).

ولا عجب أن نقرأ هذا الخبر المثير، وإن كنت مؤمناً بأثره بنسبة ما!

يقول الخبر: لأول مرة على مستوى العالم الإسلامي في تجربة المناصحة للشباب القادمين من «غوانتنامو» يستخدم الفن التشكيلي ضمن برامج التأهيل الشرعية والصحية والرياضية والنفسية والاجتماعية في علاج من تورطوا باعتناق أفكار التكفير وشبهاته. وقد حقق البرنامج نجاحاً ملموساً<sup>(١)</sup>!

وهذا الواقع إنما هو نتيجة لما قرره فلاسفة الفن بأن الفن هو التعبير المادي لفكرة دينية عن الإنسان أو بواسطة الإنسان، وأن الدين والفن توأمان منذ البداية، فهو يولد في معظم الحالات في خدمة الدين.

وإن من أنواع الفن ما ارتبط بوجود الإنسان ليعبر عن مكنونات مختلفة تستمد أصولها من دوافع ومرجعيات عديدة، يُعَدُّ العامل الديني في مقدمتها فاعلاً ومؤثراً وموجهاً<sup>(٢)</sup>.

وعندما ينطلق الفهم الديني لنقل الخبرة الجمالية في حياة الناس، فإن هذه الخبرة التي يبدأ بممارستها الشباب خصوصاً بمختلف ميولهم وأفكارهم فإنها تصب في عقولهم الخيال الإبداعي الذي ينشأ عنه التذوق والنقد الجميل! وستمنحه حرية روحية يتخلص بها من العالم المادي ويعود إلى إنسانيته<sup>(٣)</sup>!

---

(١) ملحق الرسالة بصحيفة المدينة السعودية، في: ١٦ ذو القعدة ١٤٢٩هـ.

(٢) انظر: الفن الجداري، د. بركات سعيد محمد (٩).

(٣) انظر: دراسات في الجمال والفن، د. وفاء إبراهيم (٧).

ولا غرو أن نجد مسارعة أعداء الإسلام للنيل مما يثير المسلمين وبيعث نهضتهم من خلال هدم المساجد التاريخية، ونهب ثروات المسلمين العلمية في المتاحف والجامعات الكبرى، وهذا ما شاهدناه عند احتلال أمريكا للعراق، وكم بكينا من داخلنا ونحن نشاهد ما عرضته شاشة الجزيرة عبر فيلم وثائقي عن كيفية سرقة كنوز متاحف العراق، وكنت وقتذاك في (فنلندا) مع زمرة من الأخيار من جنسيات مختلفة، حتى إن لغة الدموع صُبَّت في وقت واحد!!

وقد شاهدتُ أمام البرلمان البريطاني، ومقر الاتحاد الأوروبي ببروكسل عدداً من المسلمين والنصارى يسكنون خيماً صغيرة في الشتاء والصيف ولهم على هذا الحال أكثر من ثماني سنوات، ينشرون صور قتل المسلمين المظلومين، لكل زائر، وقد سجلت هذه الصور المؤثرة في برنامجي (مذكرات سائح)، أفعقل بعد كل ذلك أن لا نلتفت إلى لغة الفن وتحريك المشاعر؟!

أيعقل أن لا نحرك مشاعر الفنانين في كل العالم ليستيقظوا، أو على أقل تقدير أن لا تتخدر ذاكرتهم، ليصوروا بفنهم، ما اقترفته يد العدوان «وهي تقتل الناس في العراق، وتدمر المنشآت المدنية، والبنى التحتية بكل جبروت، ولا تبالي بمن دُمِّرت عليه الأحياء.

وتتآمر مع اللصوص العالميين والمحليين لنهب متاحف والمكتبات، وتخريب التراث العلمي العراقي واستباحته كما استباحه هولاءكو؟!»<sup>(١)</sup>.

وتحطيم مصادر الحضارة الإسلامية صار سمة لكل معتدٍ حتى في

---

(١) فقه الجهاد، د. يوسف القرضاوي (١/٧٤٨).

## عهد الثورة الصينية<sup>(١)</sup>!

وكيف لو جمعنا مع أحقاد أمريكا في نهب المتاحف، والكنوز والإبداعات الفنية، جريمتهم النكراء الأخرى بالتعذيب بالفن، وإرغام الناس عليه؟! ودوننا التحقيقات التي نشرتها صحيفة (واشنطن بوست) من استخدام الموسيقى الأمريكية (الميتال والراب والريف) لتعذيب سجناء جوانتانامو لمدة عشرين يوماً متواصلة على السجين المسلم!!  
ليجمعوا بذلك بين سرقة الفن الشريف النظيف في العراق، وزرع فن الخسة في بلادهم<sup>(٢)</sup>!!

ولو عاد أعداء الإسلام والعروبة للوراء لوجدوا ما جادت به فهوم المسلمين، وكيف أنهم لم يمسوا الصور الحضارية في فتوحاتهم كالأهرام وغيرها أيام عمرو بن العاص، وبقية الفاتحين<sup>(٣)</sup>!  
إنهم لم يكونوا على طريقة المستعمرين أو القابليين للاستعمار على حد تعبير (مالك بن نبي) الذين يهدمون ويمحون كل ما يمت إلى الحضارة والفكر الإسلامي!

١٢ - والخط عالم جميل بديع، وفي دورات «تحليل الخطوط» الحديثة ما يؤكد على علاقة الخطوط بالشخصية، بغض النظر عن دقة دلائلها!

والمحظور في عالم الخط ما كتبت فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أشكال لا تليق بالقرآن والحديث، ككتابتها على شكل

---

(١) انظر: خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر، د. محمد الخولي (٢٣).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط العدد (١١٢٨٧).

(٣) انظر: موقع جريدة الرياض، زاوية (حول العالم)، للأستاذ المبدع: فهد عامر الأحمدي، في حديثه عن دور المسلمين الحضاري.

طائر، أو سفينة، أو تداخلت فيها الخطوط بطريقة معقدة لا تُقرأ إلا بعد معاناة، وهذا منافٍ لنزول الوحي العربي المبين.

١٣ - والتصوير (الفوتوغرافي)، الذي انتشر انتشاراً واسعاً هذا الزمان، وصار تأثيره كبيراً، له اليوم جمعياته ومسابقاته العالمية المؤثرة، ومما قاله العلماء المبيحون تعقياً على أحاديث (المصورين) ما يلي:

إن الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالتصوير قصد بها ما كان موجوداً في وقت النبي ﷺ من الرسم والنحت، وأما حبس الظل عن طريق الآلة المعاصرة فلا يسمى في لغة العرب صورة.

كما أن المتمسكين بالمنع، وأن أحاديث النهي عن التصوير تشمل التصوير (الفوتوغرافي)، وهم قلة اليوم مقارنة بأكثر العلماء، وافقوا عليه للحاجة، حتى إن طائفة منهم وسَّعوا الحاجة لنشر قضايا المسلمين وواقعهم، لا مجرد الوقوف عند الحاجة الخاصة<sup>(١)</sup>!

ومن المواقف التي تدلل هذا المعنى أنني أثناء بحثي في قسم الفنون بمركز العالم العربي بباريس، رأيت كتابي (رفاق الكفاح)، و(لبنان... أرض وناس). وتذكرت الصور التي فيهما قبل أكثر من (٢٥ سنة)! فقد علقت في ذهني صور الكتابين، وقصة الكفاح والجمال فيهما إلى يومنا هذا!

١٤ - والفن المعماري يكاد أن يكون أقدم الفنون الجميلة وأطولها خلوداً لارتباطه في التاريخ الإسلامي بالقصور والمساجد!<sup>(٢)</sup>، والمنهي فيه المبالغة في الإسراف.

---

(١) انظر: الحاجة وأثرها في الأحكام، د. أحمد الرشيد (٧٩١/٢)، سلفي في الكافية، د. علي العمري (٤٨)، وقضايا دعوية معاصرة، د. علي العمري (٧٩).

(٢) انظر: الإسلام كمنهج حياة، د. فيليب حتي، ونقله إلى العربية: د. عمر فروخ (٢٩٨) وفيه فصل مهم عن الفن، لا يخلو من تجاوزات!



وأرى أن جولة واحدة لبلاد الأندلس والتأمل في فنها المعماري كفيلة بإحداث دوي نفسي وفكري وسلوكي! إذ لا يكفي التنظير من خلال بعض المؤلفات التي عنيت بهذا الأمر، وفيها خير، ولكني ألحظ على مؤلفيها ما يلي:

١ - أنهم ينقلون من الكتب القديمة القيمة الجمالية لبعض المساجد والمعالم الحضارية للمسلمين دون أن يشاهدوها عياناً، أو يضيفوا ما شاهدناه اليوم ولم يشاهده السابقون!

٢ - غياب اللغة الجمالية والفنية، والكتابة بلغة أكاديمية لا تحدث تأثيراً في النفس، فضلاً على أن تبعث الروح الجمالية، وشد العقول نحو الحضارة الإسلامية!

٣ - اختزال موضوعات العلوم والفنون، أو العمارة الإسلامية ضمن الصور الجدلية، والتحليلات الشكلية<sup>(١)</sup>!

وقد أطربني وشدّ كل كياني البرنامج الوثائقي عن منزل المعماري الرائع: سامي عنقاوي، حيث لم أرَ في حياتي منزلاً جمع فنون العمارة الإسلامية مثل ما رأيته في داره العامرة، وهي بحق متحف من الطراز الأول، تختزل كل المعاني السابقة!

ثانياً: الفنون البصرية:

وهي تشمل السينما والمسرح والمشهدات التمثيلية والأفلام بأشكالها المختلفة.

---

(١) انظر: العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، د. الشيخ الأمين. وكذلك العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، د. تاج السر أحمد حران، ومبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة، د. هاني القحطاني.

وهذه الفنون البصرية تعتمد على التقليد والمحاكاة لحدث واقعي أو متخيل حاضر أو ماضٍ، يُقصد منه التأثير على المشاهدين<sup>(١)</sup>.

وهذا النوع من الفنون هو الأبلغ في روعة وعمق تصوير أزمة العصر الراهن بكل أبعادها الفردية والجماعية، «باعتباره جَمْع الكلمة والحركة والموسيقى والصورة والتعبير والأضواء والظلال، وبخاصة بعدما هيأت له التكنولوجيا الحديثة وسائلَ آليّةٍ مكنته من أداء مهمته أروع أداء»<sup>(٢)</sup>.

بل يمكن القول: إن تأثير البرامج التمثيلية المصورة والمترجمة إلى العربية صار أكبر وأبلغ، وبات الجماهير أكثر تعلقاً بها، وما هذا إلا لأن الفنون البصرية تتسم بإتقان الصنعة، وفن الحبكة، وحشد العاطفة<sup>(٣)</sup>.

وإذا أردنا أن نتخيل مدى تأثير الفنون البصرية على المشاهدين من المسلمين فلتتذكر نماذج مختارة ومتنوعة، منها:

١ - أن أحد أسباب ضعف الرجل المريض «الخلافة العثمانية» إدخال المسارح، وإشغال الناس بها، بل وحتى تقريب أسمائها إلى الحس الإسلامي - بغض النظر عن محتواها - كمسرح الموشحات الأندلسية، وأمثال ذلك...<sup>(٤)</sup>.

٢ - ما لحق بمخرج المسلسل المصري «الحاج متولي» من ضرر

---

(١) انظر: أحكام فن التمثيل، محمد بن موسى الدالي (٥٦).

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل (١٧١).

(٣) انظر تأثير هذه البرامج بغض النظر عن محتواها، في عدد مجلة (لها) رقم: (٤٠٠).

(٤) انظر البحث القيم: سقوط الخلافة العثمانية، د. عبد اللطيف الحميد.

بالغ، ومساءلة أمنية، وغرامة مالية، بسبب الآثار الواسعة، والضجة الإعلامية غير المتوقعة، علماً أن المسلسل كان يركّز على إمكانية نجاح فكرة تعدد الأزواج!

٣ - الرقابة المشددة، ومحاولات قطع الأجزاء ذات الأجواء الصعبة والمناخ المؤثر في فيلم «المتهم» للفنان أحمد زكي، والدوي الهائل الذي خلّفه وراءه! الذي صوّر ما يتعرض له أصحاب الرأي والمعارضة السلمية من تهمة مكذوبة، وآلام لا تطاق.

٤ - الهزة النفسية والروحية التي أحدثتها مسلسلات «باب الحارة»، وما أسهم به في جوانب متعددة في إعادة صياغة المجتمع العربي المسلم.

٥ - الانفعالات العاطفية التي أحدثتها المسلسلات المدبلجة وخاصة التركية منها، والتي جعلت صديقاً متخصصاً في الإعلام هو د. مالك الأحمد يقرّ بتأثيرها على صغار اليمن فضلاً عن غيرهم عندما أرسل لي موقفاً حدث له هناك، وفيه: «في مزرعة في أطراف قرية في اليمن جلست مع صديقي للراحة من عناء السفر من تعز إلى صنعاء.

أوقدنا النار من الحطب المتساقط على الأرض ووضعنا إبريق الشاي... انطفأت النار... ناديت صبيّاً في الثامنة رأيته قرب منزله...

«هلم... تعال... أريد بعض الحطب»...

أسرع الصبي عدواً إلى منزله يتسلق الحجارة كأنه قرد، ورجع ومعه حزمة من حطب.

انشرح صدري لاشتعال النار وفركت يدي في انتظار غليان الماء

لأصنع الشاي وأستمتع بالنكهة بعيداً عن شاي المدينة والأفران  
الصناعية!

«اجلس... إيش اسمك؟... هل تدرس؟... هل هذا  
منزلكم؟...»

أجابني الصبي بلهجة يصعب فك ألفاظها فاستعنت بأخيـنا المرافق  
اليمني الذي شرح لي ما استغلق من ألفاظ.

تطلعت إلى منزلهم الذي كان وحده بين المزارع يعلوه طبق  
وإريال تلفزيوني...

سألت الصبي: «لديكم دش! (شككت إن كان يعرف الكلمة)...  
كم قناة في التلفزيون؟»

يظهر أنه استوعب كلامي فأجاب وبدأت أفهم لهجته...  
«ماذا تشاهد؟!»

كان سؤالاً للاختبار والتعرف على حياة منزل مزارع في ضواحي  
قرية يمنية لا يربطها مع المحيط سوى طريق معبد.  
«العشية... أشوف مهند ونور...!!»

صعقت للإجابة... مهند ونور!!... هذا الصغير في هذا  
المكان... بل ينتظره، فسوف يبدأ بث المسلسل بعد قليل!

بعد نقاشات قليلة اكتشفت أنه وجميع أفراد العائلة... - من هو  
أكبر قليلاً منه، وأصغر - يتسمرون كل ليلة أمام الشاشة لمشاهدة هذا  
المسلسل!!

٦ - الأثر الضخم الذي أحدثه فيلم (الرسالة) ذلك الفيلم الذي لم

يأت قبله ولا بعده عملٌ مثله في براعة الإخراج والإنتاج، وجمال تصوير الإسلام في خطواته الأولى.

وإذا كانت هذه لقطات تبدي حجم التأثير والتغيير والانقلاب في المجتمع، فإن هذا يأذن لنا أن نقول بسلام: إذا كانت قوة السلطان تزغ الإنسان، فإن الفنان اليوم يزغ السلطان!!

ونحن في هذا المقام لم نمر على البرامج الإعلامية غير الدرامية والتي لها أكبر الأثر في الساحة كذلك البرنامج الذي تقدمه المذبة «أوبرا» والتي صارت أشهر من كلتون وبوش!<sup>(١)</sup>.

وإيرادنا للنماذج السابقة لا يعني إقرار أخطائها، أو التماشي مع أفكارها، وما ورائياتها، وإنما هي مجرد الإشارة إلى حجم التغيير، ولعبة التأثير، وفن تشكيل الرؤى والانطباعات، بل وحتى السلوكيات، ومن ثم الشخصيات!

وفي مقابل هذه النماذج، نرى صولات وجولات لأفلام ذائعة الصيت، قوية التأثير، تتخذها الآلة النصرانية وسيلة لحملاتها الفكرية. وإن كان من المؤسف أن نقول: إن الفن بشتى صورته بدأ في الشام ومصر على يد الحملات الصليبية، والتي لم تثر الاهتمام في أول أمرها، لبعد الناس عنها، إنما جاء وصفها، وغبابة الناس منها، كما ذكر المؤرخ الجبرتي عنها.

وقد أقيمت أول حفلة للسينما في مصر عام (١٨٥٣م) على يد فرنسي نصراني في قهوة الخواجة «زاواني»، ونشر أول خبر عنها في

---

(١) انظر الرسالة المفيدة: عظماء بلا مدارس، د. عبدالله جمعة.

جريدة «الأهرام»<sup>(١)</sup>.

فالفنون البصرية إذاً تلعب دوراً رئيسياً في رسم الاتجاهات، وإخراج مكونات النفس، وإشعال جذوة الحماس أو الفتنة!

وإنك لراء إنساناً ضعيف الثقافة، هشَّ الأخلاق، يشكل بمشاهدته أبعاداً في آفاق النفس، وآثاراً في سلوك المجتمع، وتبوءاً لمكانة عالية في سلم اهتماماتهم!

الفن اليوم بآلياته المتطورة، مع تجدد الفنانين، وخضرمه المتقدمين، يدفع بالمجتمع نحو كسر كل الحواجز، ويضرب على وتر المشاعر، فتتهيج كل الخلايا الحية، وتنشط كل الهرمونات، طالما بقي الفنان والمُشاهد يتبادلان دَرف العيون، والفرح والألم من داخل الأعماق، لحظة بلحظة!

وخاصة إذا آمنا أن في عصرنا فنانين لديهم قضايا أساسية تشغل تفكيرهم طوال حياتهم، كما يقول الكاتب الشهير وليامز (T. Williams)<sup>(٢)</sup>.

والفن البصري ينبغي ألا يحصر في مشاهدة التلفاز، بل يتسع ليشمل ما أبدعته يد المسلمين من تحف معمارية أخاذة، وبناء متفنن، يدل على الأصالة والعراقة. أو ما عبر عنه الأستاذ الراشد بالجذر

---

(١) نلاحظ أن الخواجة نصراني، وزعيم الحفل نصراني، وأول خبر في جريدة منشؤها نصراني لصاحبها «نقلا» وشركاه!، وانظر حول هذا الموضوع: رسالة «التنصير»، وهي رسالة قيمة للأخ الصديق الشيخ: أكرم كساب، و«المرأة والمسرح في لبنان»، د. وطفاء حمادي هاشم.

(٢) فوزى العالم في المسرح الغربي المعاصر، د. عماد الدين خليل (٢٥).

الرياضي للجمال المودع في الفن الإسلامي، وذلك عند عرضه لقصة مدرس رياضيات عراقي يسمّى (علي الشوك) «وكيف أنه قرأ بمتعة كبيرة كتاب «الإنسان في معارج الرقي» لجاكوب برونوفسكي، حتى مرّ على فصل موسيقى الكواكب، فيقول: من بين فصول الكتاب التي استهوتني بصفة خاصة، موسيقى الكواكب، الذي يتطرق فيه المؤلف إلى الإنجاز العربي الفذ في قصر الحمراء بغرناطة، حيث اجتمع الفنان والرياضي في آن واحد على حدّ تعبير المؤلف.

وقد أذهلني وأخجلني هذا المؤلف البريطاني من أصل بولوني لأنه التفت قبلنا نحن المثقفين العرب المعاصرين إلى الأهمية الفذة للتكوينات القاشانية في قصر الحمراء، إلى جانب جمالها الفني. فهل فكر علمائنا وفنانونا في أبعاد تلك الأعمال الزخرفية، مثلما فكر جاكوب برونوفسكي؟»<sup>(١)</sup>.

وأنا بدوري أتساءل عن القيمة الحضارية للفن الجمالي الطبيعي والهندسي التي تستوجب منا نشرها وإذاعتها في إعلام المسلمين وبين يدي ناشئتهم على وجه الخصوص، ولعلي في برنامجي «مذكرات سائح»<sup>(٢)</sup> بسنواته المتلاحقة تحقيقاً لبعض هذه الأمنيات، ولعلي قد

---

(١) الروح الجمالية، محمد أحمد الراشد (٥).

(٢) قمت - بفضل الله - بزيارة أهم المعالم الجمالية، والمتاحف العالمية، وخاصة الإسلامية حول العالم، وتصويرها، وهي موجودة في ٣ (DVD) منشورة في المكتبات والمواقع الإلكترونية، وكذا نسخة مطبوعة بلمسات فنية وإخراج أنيق. وقد راقني كثيراً مشروع متحف الفن الإسلامي بقطر، وفرحت بالعناية الكبيرة للمطبوعات الفنية ذات الدلائل القيمة، ومن أهمها:

أعذرت البعض، وحققت شيئاً من فرض الكفاية!

إننا يجب أن نعترف بأننا في عصر (صراع الوسائل)، وعلى المسلمين وخاصة المفكرين أن يحيوا علوم الدين عبر هذه المستجدات بمساندة العلماء الواعين، إذ ليس لنا خيار في ظل (الفراغ الحضاري) الذي نعيشه، و(الاستلاب الفضائي) الذي يغزونا إلا الاستفادة من كل ما يمكننا من أداء دورنا وإيضاح رسالتنا للعالم.

وإذا أدرك الفنان المسلم ما يبيحه له الإسلام، وما يحذره منه، وهو يخوض دروب الفن، فإنما يصنع لأمته شخصية حضارية أصيلة، قادرة على التفكير، وإعادة هندسة الحياة.

وللمسلم الفنان تميزه وتألقه، إذ هو مسلم ابتداءً، قدوة في فكره ومشاعره، وسلوكه وسمته، وتصرفاته وتوجهاته، ثم إنه فنان يطوِّع فكره وهمة وإبداعه لرسم صورة حية ممتعة نافعة في المجتمع. وحينها يكون مقتنعاً حتى آخر قطرة من دمه، وأعمق خلية في دماغه، أنه يختار بإسلامه أكثر المواقع حيوية وتقدمية في مسار التاريخ وحركة الحياة...

وحيال ذلك «أفليس من حق الفنان المسلم أن يدلي بدلوه في هذا الميدان المؤثر الخطير؟ أليس من حقه أن يرتاد الآفاق الجديدة الرحبة التي يطرحها هذا الفن، ويعرض على قومه وأمته صوراً تعتمد الحركة والإيماءة، يقطعها من واقعها المرير... صوراً تحيل الهمسة

---

= ١ - متحف الفن الإسلامي، أوليفر واتسون.

٢ - الفن الإسلامي عبر الثقافات، فريق المتحف الإسلامي.

٣ - الأسرار، أحمد المرادي.

وإصدارات أخرى عرضت لها في هذا البحث وقيدتها في الفهرسة.



إلى صرخة، والكلمة إلى انطلاقة، والسكون إلى مزيج من التشابك الدائم بين الأضواء والظلال؟ أليس من حق الفنان المسلم أن يعتمد كل ما يقدمه له هذا الفن من إمكانات، كي يجسد أمام الناس الأفكار التي تدور في خاطره، والعواطف التي تعتمل في فؤاده، والمشاعر التي تجيش في نفسه ووجدانه، والرؤى التي تناغيه من بعيد... يجسدها على الخشبة، وجهاً لوجه أمام الحشود التي تهزها الحركة والإيماءة، والتعبير والصرخة، وتستثيرها بعمق إيقاعات الضوء والظلال، والظهور والغياب؟! بل أليس من واجب هذا الفنان المسلم، أن يسهم في أي ميدان من ميادين الفن الفسيحة، ما دام يرى فيها فاعلية معطاءة يمكن أن تقربه من هدفه، أو تقرب الجماهير منه؟!

بلى... من واجب الفنان المسلم أن يدلي بدلوه، وأن لا يقف عاجزاً من بعيد، تتناوشه عوامل الإقدام والإحجام، وتتوزعه دوافع القبول والرفض.

لقد علم الإسلام العرب، يوم أن أخرجهم من جزيرتهم إلى أطراف العالم، علمهم درساً حضارياً سيظل باقياً على القرون: لا ترفضوا!! ما دمتم تحملون عقيدتكم في عقولكم وضمائركم وقلوبكم ووجدانكم، فلا ترفضوا!! ما دمتم قد أسلمتم وجودكم وأهدافكم ومحياكم ومماتكم لله... فلا ترفضوا... ما دمتم دخلتم في السلم كافة، وجئتم تحملون هذا السلم إلى البشرية في كل مكان، فلا ترفضوا.

ولقد قال لهم كما في الأثر يومها: خذوا الحكمة من أي وعاء خرجت، وفتح أعينهم جيداً على أن تراث البشرية يجب ألا ينقطع، وألا يصيبه الدمار... إنه ملك مشترك لبني آدم في كل مكان وزمان،

هو حصيلة كدهم الدائم وكدهم المشترك وجهادهم الطويل.

إن الإسلام يرفض بإصرار أن يصيب الحضارة بانتكاسات تعود بها قروناً طويلة إلى الوراء، إنه يرفض أن يقطع الخيط الذي يشد هذه الحضارة ويحفظ تماسكها، ويرفض أن يلغي - ببساطة - معطيات هذه الحضارة إلغاء عشوائياً... إن ما علمهم الإسلام هو هذا: أن يفتحوا أعينهم جيداً إزاء كل ما تعرضه عليهم الحضارات الجديدة من قيم ومعطيات، فيتمعنوا ويدرسوا ويتفكروا وينقدوا ويقارنوا، ثم يصدروا حكمهم إما بالرفض أو القبول... كلا، فما علمهم الإسلام الرفض الحضاري، ولكن بالاختيار والانتقاء، والعزل والفصل، ثم إعادة البناء... فقط أن يصدروا في فاعليتهم هذه عن القاعدة التي جاءهم بها الرسول عليه الصلاة والسلام، لا يشذون عنها ولا ينحرفون: الإسلام، ومن الإسلام وحده يمكنهم أن ينطلقوا لإعادة صياغة حضارة الإنسان على عين الله الذي أسلموا وجوههم له!!

هذا الدرس العظيم، أو ما يمكن تسميته (الاختيار الحضاري الإسلامي)، هو الذي أنشأ حضارة المسلمين في عصورها المعطاء، وهو الذي هيا لهم أن يتسلموا زمام المبادرة، وأن يتولوا قيادة التراث البشري بنجاح منقطع النظير وسط عواصف الجاهلية وأنوائها التي أحاطت بهم من كل مكان... وهو... هو الذي يتيح لكل إنسان مسلم، في كل آونة وفي أي مكان، فرصة الاختيار إزاء ما يحيط به من حضارات. وهل أجدر من الفنان المسلم، ذلك الذي يحترق وجدانه بالحب والشوق، ويتحرق لكل ما من شأنه أن يتيح له فرصة التعبير عما يعتمل في نفسه إزاء عصر التمرّد والقلق والانعزال؟! هل أجدر منه بهذا الاختيار، وكسب هذه الفرصة التعبيرية الرائعة التي

أتاحها له الدرس العظيم الذي علمه إياه الإسلام؟!»<sup>(١)</sup>.

وأن عمله الفني الرسالي هو جهاد بمثابة ثورة دائمة، ليحق الحق، ويدعو الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها إلى اختياره... ليكون فته صدىً عميقاً، وصوتاً قوياً، في الداخل القريب من مجتمعه، وفي الساحة الكبرى من ساحات أمته<sup>(٢)</sup>.

وباختصار، فإن الفن البصري والمسرحي منه على وجه الخصوص - كما يقول الشاعر الفرنسي (جان كوكتو) - ينمي المفارقة التالية:

إن التاريخ يتشوّه مع الزمن، والميثولوجيا تترسخ مع تقادم الأيام، ولا تتجسد اللحظة الفعلية حقاً إلا على خشبة المسرح<sup>(٣)</sup>!

### ● مسائل وأحكام في الفنون البصرية:

إذا أدرك المسلمون الواعون الآثار والتأثيرات لقضايا الفن، وما يتبعه من ضرورة القيام بدورهم حسب قدرتهم وتخصصهم، فلا بد من الحديث حينئذ عن الأحكام المتعلقة بهذه المسائل.

وأود الإشارة هنا إلى قيمة الندوات المتميزة في ساحة الإعلام والفن الهادف، مع بعض العتب على ضعف نشرها، وتداول مضامينها. ولعل اليقظة الحديثة نحو هذا الموضوع تؤدي شيئاً من الحراك المأمول لصناعة فنٍ هادفٍ راقٍ.

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل (١٧٤).

(٢) انظر: مؤشرات إسلامية في زمن السرعة، د. عماد الدين خليل (٢٥).

(٣) اليوم العالمي للمسرح (٧).

ونشرع الآن إلى عرض فقهي مركز وشامل، مع مراجعة وتأمل وتدقيق، واختيار لما نرجو من الله أن يكون مراعيًا للأدلة والقواعد الشرعية متذكرين ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الانحراف عن الوسط كثير في أكثر الأمور، في أغلب الناس. مثل تقابلهم في بعض الأفعال، يتخذها بعضهم ديناً واجباً أو مستحباً أو مأموراً به في الجملة، وبعضهم يعتقدونها حراماً مكروهاً، أو محرماً أو منهيّاً عنه في الجملة»<sup>(١)</sup>.

١ - ورد في الكتاب والسنة شواهد تدل على معنى الأداء التمثيلي لحدث ما، ومن ذلك<sup>(٢)</sup>:

أ - ما جاء في قصة داود عليه السلام مع الملائكة. قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ ۚ﴾ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۚ﴾ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِيَ نَجَّةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۚ﴾ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِلَيْنَا نِعَاجُهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ﴾ (٢٤) [ص: ٢١ - ٢٤].

ب - ما جاء في قصة الأبرص والأقرع والأعمى<sup>(٣)</sup> المعروفة

(١) مجموع الفتاوى: (٣٥٩/٣).

(٢) انظر: قضايا دعوية معاصرة، د. علي بن حمزة العمري (١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤/٦) في الأنبياء ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم، (٢٩٦٤) في الزهد والرقائق، وابن حبان (٣١٤) وهو حديث طويل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومرادها مشابه لمراد المعنى السابق من الإرشاد والتعليم، وكذلك ما ثبت عن النبي أنه حَكَى نبياً من الأنبياء دمّاه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه<sup>(١)</sup>.

٢ - مسائل التمثيل الحديث تعتبر من الأمور المستحدثة، إذ كانت ولادة أول مسرحية عربية عام ١٤٨٠م، وهي «البخيل»<sup>(٢)</sup>، ولذلك يكثر العزو الفقهي للمتأخرين.

وعدّ بعض العلماء التمثيل أبلغ من ألف خطبة! بل إن المشاركة في وسائل الإعلام - ومنها التمثيل - وخاصة في هذا العصر بهدف الدعوة إلى الله بالوسائل المشروعة واجبة!<sup>(٣)</sup>

وبهذا العقل الواعي والبصيرة في شرع الله، والغيرة على دينه، ندرك حال النصارى - المبشرين - في أجزاء كثيرة من الأرض، وأنه «ما انتشرت بضاعتهم لجودتها وتَفَوَّق صنعها، بل لما تُغْلَف به هذه البضاعة من أساليب الدهاء والخديعة والمكر والتزيين، وما تخلّفت كثير

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩/١٢) في استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصح، ومسلم (١٧٩٢) في الجهاد، باب غزوة أحد، وابن ماجه (٤٠٢٥) في الفتن، باب الصبر على البلاء، وأحمد (٤١٠٧، ٤٢٠٣)، وابن حبان (٦٥٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون».

(٢) أحكام فن التمثيل (٩٣).

(٣) انظر: الصحوة الإسلامية... ضوابط وتوجيهات، الشيخ محمد بن عثيمين (١٧٨).

من قضايا المسلمين إلا نتيجة التقصير الشائن في تزيينها، وخدمتها وتقديمها للناس، والأمر لا يحتاج إلى توضيح، فموضوع من موضوعات الدعوة يقدمه شيخ عجوز، لا يجيد النطق، ولا العرض، مع إطالة مملة، هل يشدّ ذلك الناس كما لو قدّم هذا الموضوع خطيباً لبقاً، بعرض جيد، وتنفيذ متقن، أو من خلال برنامج تمثيلي بصورة ملوّنة، وديكور أنيق، وحوار ممتع؟

إن الدعوة الإسلامية لن تحصد إلا الشوك من أناس قليلي الفقه، كثيري التخبّط، يقدمون الدعوة بثوب باهت.

إن الجاذبية والجمال في تقديم الدعوة لا بدّ أن يكون مرتكزاً على جانبيين هما: الشكل والمضمون.

الشكل الذي ترتاح له النفوس، وتهفو إليه الأفئدة، وتعشقه الآذان، وتستمتع به العيون. والمضمون الذي يحمل هموم الناس، ويستشعر أعباءهم، ويوقظهم من سباتهم، ويعيد الثقة إلى نفوسهم بمركزهم، ومبدئهم، وغايتهم، ورسالتهم في الحياة<sup>(١)</sup>.

وما نود التأكيد عليه أن الحديث هنا عن الفنون البصرية (تمثيل، سينما، مسرح، أفلام...) الهادفة البعيدة عن المحرمات المتفق عليها، والتي سيأتي بيانها.

٣ - الغاية من الفنون البصرية هي التقليد والمحاكاة والتجسيم لحدث واقعي أو متخيل، ولذلك فإن الكلام المصاغ في السيناريو إذا كان على وجه الخيال ومحاكاة الواقع، لا يعتبر كذباً ولا تزويراً.

---

(١) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار (٦٣٢).

وبالتالي فإن الفنانين معروفون بهوياتهم وأسمائهم، وأن ما يقومون به إنما هو التمثيل، ولا إيهام فيه على المشاهد، وليس فيه تشبّع من أحدهم بما لم يُعط، إذا هو مثّل مشهد عالم أو تاجر أو ملك.

٤ - تمثيل الأدوار جائز في كل الصور، عدا ما يلي:

أ - عدم جواز تمثيل الذات الإلهية، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١].

ب - عدم جواز تمثيل الأنبياء والرسل، وهم على بشريتهم، إلا أن من يُوحى إليه كلامه حق، وأتى لبشر تقليدهم. وهم من هم عليهم الصلاة والسلام من إجلالهم لله وتعظيمهم له؟

وإذا كان الفقهاء قد اختلفوا في رؤيته ﷺ في المنام هل هو خاص بصحابته أم يشركهم فيها من بعدهم، لثبوت حديث «من رآني في النوم فقد رآني»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أبي سعيد مرفوعاً: «من رآني فقد رأى الحق»<sup>(٢)</sup>.

فمن هذا المتبرع الذي سينال حظ تتبع سيرته في الشرائع ويكون ممثلاً له بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام، خاصة إذا كنا نعرف أحوال الفنانين؟!

ما لي إلى قدرك العلوي من سبب	لا الشعر يسعدني فيه ولا نسب
لكن رأيت محباً أعوزته يد	من البيان وأهل الشعر في لعب
قد أشغلوا بضروب الحب ما عرفوا	من الحقيقة إلا كل ذي وصب

(١) رواه مسلم (٤/١٧٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٢/٣٨٣).

يا سيدي يا رسول الله معذرة      إذا دعيتني القوافي ثم لم أُجب  
وما عجزت لأن الشعر أعجزني      لكن لأنك فوق الشعر والأدب  
وكامل الخلق ما في الناس مشبهه      خلقاً ولا خُلُقاً منه بمقترب<sup>(١)</sup>

ج - عدم جواز تمثيل الملائكة، إذ كيف يمثل نور العرش؟! فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور العرش»<sup>(٢)</sup>.

٥ - وعدا ما سبق، فقد اختلف الفقهاء المعاصرون فيه كتمثيل الصحابة، فأجازوه قوم، ومنعه آخرون وفصل فيه فريق ثالث مفرقاً بين البعض منهم والبعض الآخر وسبب المنع لما يمكن أن يسهم به بعض الفنانين من أدوار تسيء إلى مكانة الصحابة وقدرهم، وإلى الصورة المرسومة في أذهان المسلمين عنهم من توقير وإجلال.

ويمكن جواز تمثيلهم بشرط إقرار لجنة شرعية علمية متينة، كما حصل من موافقة لجنة الأزهر الشريف على فيلم (الرسالة)، على شيء من التحفظات عليه.

٦ - جواز تصوير القصص القرآني، كقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الجنة، وغيرهما، بشرط عرضها - كما سبق - على لجنة متخصصة أمينة.

٧ - في داخل المشاهد التمثيلية قد يتعرض الحدث لذكر الطلاق أو النكاح أو الحلف وغيرها من الأحكام الشرعية، ونجملها في التالي:

(١) القصيدة لأستاذنا د. عدنان عبدالقادر فقيه.

(٢) رواه مسلم (٤١٥/١٨).



أ - لا يقع الطلاق ولا النكاح ولا الحلف بغير نية وقصد على الصحيح من أقوال الفقهاء<sup>(١)</sup>، لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(٢)</sup>، ولعدم قصد الهزل، إنما التعليم أو التوجيه، مع التخفيف من الحلف بالله خشية الاستهانة، ولأن الأصل في الحلف أنه عَقْد مع الله يجب الوفاء به.

ب - لا تقع صيغ العقود من البيع والشراء وفسخ العقود والشهادات ونحوها، لعدم النية والقصد.

٨ - لا يجوز لبس الصلبان وما يدل على شعائر الكفار الدينية، ويعظم النكير إن كان ذلك لغاية التشبه بهم. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له حين رأى عليه ثوبين مُعَصَّفرين: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ أحمد شاکر - رحمه الله - : «هذا الحديث يدلُّ بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفار في الملبس وفي الحياة والمظهر، ولم يختلف أهل العلم من الصدر الأول في هذا، حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة، ديدنها التشبه بالكفار في كل شيء»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) حاشية الدسوقي المالكي (٣٥١/٢)، والوسيط للغزالي الشافعي (٣٨٦/٥)، والإنصاف للمرداوي الحنبلي (٤١٥/٨).

(٢) رواه البخاري، وهو أول حديث أخرجه في صحيحه في باب: بدء الوحي (٢/١). ومسلم (٤٨/١٣).

(٣) رواه مسلم (٢٤٤/١٣). والمُعَصَّفر: مادة بها رائحة أصلها نبات، كما في لسان العرب (١٧٤/١٠).

(٤) تحقيق الشيخ أحمد شاکر على المسند (١٩/١٠).

ويمكن الاستعاضة بملابس معروفة عندهم ومشهورة بينهم لا تدل  
علة شعائره الدينية بدون غاية التشبه.

٩ - البعد عن الحركات التي تشبه الركوع والانحناء، وتجنب  
السجود لبشر فذلك غير جائز، ويستعاض عن كل ذلك بمشاهد  
أخرى، تحقق المراد.

١٠ - عدم جواز سب الله جل جلاله، أو رسوله ﷺ، أو الدين  
أو الصحابة. إنما يستعاض عن ذلك، بالنصوص التي فيها عدم الرضا  
والسخط لمن أدى دور المحاربين للدين.

١١ - عدم جواز تمثيل الرجل صورة المرأة، والعكس، لعموم  
النهي عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، إلا ما كانت غايته  
لباس غطاء للتكر الذي يقتضيه النص.

١٢ - جواز استخدام الأصباغ التي لها حاجة وغير ضارة للشعر  
أو للوجه، وكذا استخدام المصنوعات المستعارة كشعر اللحى وشعر  
الرأس، مدة التمثيل فحسب للحاجة، ولانتفاء علة المخادعة، والتغيير  
الحقيقي لخلق الله على أن لا تكون من الشعر الحقيقي الذي يحرم  
الوصل به أو يُقال بالضوابط الشرعية لذلك.

١٣ - وحول تمثيل المرأة يتركز النقاش في مسألتين رئيسيتين:

الأولى: الحدود الشرعية لما يجوز للرجل مشاهدته من المرأة  
عَرَضاً أو قصداً.

الثانية: ما يتعلق بحدود الفتنة، وضابط خروج المرأة.

فأما المسألة الأولى فقد طال الحديث فيها واستفاض، وكُتبت

حولها مطولات ومختصرات<sup>(١)</sup>. وهي من أشد الموضوعات طرحاً وحساسية وخطورة وأهمية!<sup>(٢)</sup>

ورأي المانعين واضح، وأدلتهم:

أ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

ب - وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ج - وقوله ﷺ: «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من ربها وهي في قمر بيتها»<sup>(٣)</sup>.

د - وقوله ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الآخرة»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) من ذلك: كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة، للشيخ عبدالحليم أبو شقة رحمه الله، والحلال والحرام، للشيخ يوسف القرضاوي، والإعلام بنقد الحلال والحرام، للشيخ صالح الفوزان، والمفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في ضوء الشريعة، للشيخ عبدالكريم زيدان.

(٢) انظر بالتفصيل كتابي الثاني من هذه السلسلة، بعنوان: «فقه العلاقة بين الرجل والمرأة».

(٣) رواه الترمذي (١١٧٣) وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في الإرواء (٣٠٣/١).

(٤) رواه أحمد (٣٥١/٥)، والترمذي (٢٧٧٧) وحسنه، وكذا الألباني في غاية المرام (١٣٢).

ولعموم الفتنة الحاصلة من تبرج المرأة، وخروجها من بيتها لغير حاجة، ولما يتوقع من الاختلاط المحرم.

ورأي المجيزين بني على أصل المشاركة، وتحقيق المصلحة. فمن عموم الأدلة استدلوا بالآتي:

أ - أن النساء في العهد النبوي كن يحدثن رسول الله ﷺ، ويسألنه، ومنهن من هي بادية الوجه كحديث المرأة الخثعمية<sup>(١)</sup>، والسائلة من سبط القوم في يوم العيد<sup>(٢)</sup>.

ب - أن النساء كن يخرجن ويبعن ويشترين دون حرج أو عنت أو تضيق.

ثم قالوا: إن المشهد يصوّر الواقع المعاش في الأزمان الفاضلة، مع غاية التستر بالحجاب الشرعي، وأداء الدور الملائم لهن، مع المنع لأي مشهد مخل أو مثير أو محظور.

ومع هذا التنبيه والضبط فإن السجالات سيظل باقية ولو بشكل محدود في هذه الأطر، وما ينبغي بيانه:

أن الفتيا تراعى فيها الضوابط وفقه الواقع. وواقع التمثيل اليوم

---

(١) رواه البخاري (٥٥١/٢) في الحج، باب وجوب الحج وفضله. ومسلم (١٣٣٤) في الحج، باب نقض الكعبة وبناءها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٧/٢) في العيدين، باب المشي والركوب إلى العيد والصلاة قبل الخطبة، ومسلم (٨٨٥) في العيدين في فاتحته، وأبو داود (١١٤١) في الصلاة، بابا الخطبة يوم العيد، والنسائي (١٨٦/٣ - ١٨٧) في العيدين، باب قيام الإمام في الخطبة متوكئاً على إنسان، وأحمد (١٤٤٢٠).

ليس أمراً ساراً ولا مطمئناً، وشهادات التائبات خير شاهد، وخاصة إن كان في المشاهد لمس للأجساد!

كما أن خطأً بيناً يجب التنبيه عليه وإيضاحه، وهو أن المرأة المسلمة مأمورة بستر ما أمرت بستره، وأقره فقهاء الأمة الأعلام، وأن التحايل على ظهورها سافرة مخالفة أمر الشرع كالتفريق بين كونها ضيفة في برنامج لا مذيعة له، أو معلّقة لا دائمة الظهور، لا يقره شرع، ولا يستوعبه منطق، في ظل عدم الحاجة!

فالوسائل باتفاق الأئمة يجب أن تكون وفق مراد الشارع<sup>(١)</sup>.

١٤ - ومشاهدة الأفلام أو التمثليات سواء للمتعة أو الفائدة أو تعلم المهنة وفيها عورات بادية، ومحرمات ظاهرة، وممارسات خاطئة، أمر لا يقره الإسلام ولا يقبله المؤمن. والوصول للمباح لا يمكن أن يكون باستمراء الحرام!

نعم قد يرى بعض المخرجين أو المتخصصين في الإعلام أفلاماً وبرامج إعلامية غربية أو عربية بقدر الضرورة للتدريب فيما هم بحاجة إليه بشرط غض البصر عما حرمه الله ورسوله ﷺ، وأن يكون في وقت محدد، ومكان غير عام.

أما أن يتحول المسلم إلى مفتٍ يحل لنفسه المشاهدة بحجة عدم التأثير، أو الرغبة في تطوير الموهبة، ويبقى طول عمره مشاهداً للحرام

---

(١) انظر البحث القيم: دراسة مقاصدية موجزة عن الإعلام الفضائي الإسلامي، د. محمد بن عبدالله العبد الكريم، ضمن أبحاث مؤتمر القنوات الهادفة، المنعقد بالرياض، تحت إشراف مؤسسة الرشيد للإعلام.

ليخدم في نظره الإسلام، فهذا يجب عليه أن يخدم نفسه أولاً فقد وقع في شرك الشيطان حقيقة لا خيلاً تمثيلاً!

وبالتتبع والتجربة فإن الإعلام مهارة وممارسة، وكثير من الشباب الطيب يحلم بالمهارة مشاهدة، ولا يد له فيها ممارسة!

والمسلم وهو ينزل إلى ساحة العمل الإعلامي الفني لا بد أن يؤمن أنه مسلم ثم فنان، أي يتبع الإسلام في فنه.

ومع التجربة والممارسة سيكون المسلم هو الموجد لصور الإبداع والجمال الفني النظيف في إخراجه وتمثيله، دون أن يلوث مشاعره وفكره!

١٥ - ويجوز تمثيل الصغيرات دون البلوغ إذا لم تخش منهن الفتنة. والحذر من تمثيلهن مع الصغار إن كنَّ في سنِّ التمييز! (١).

وبعد، فقد كنا نتمنى أن نكون في زمان الطنطاوي لما قال:

«وأين يسهر من يريد سهرًا أو لهوًا؟ وما في البلد إلا سينما أنشأها الأتراك للدعاية الحربية كانت في موقع البرلمان، أخذونا إليها فأرونا فلمًا عن حرب «شناقلعة» أثناء الحرب الأولى ثم احترقت وبقيت خرائب مدة طويلة حتى أقيم مكانها البرلمان، وسينما «زهرة دمشق» وقد أنشئت بعد، وكانت في موضع عمارة القباني في مدخل السنجقدار، وأخرى وراءها عند النهر، وكانت السينما في أول العهد بها صامته مرتجفة فلم يكن يدخل السينما إلا بعض الشباب خلصة من

---

(١) وقد ثبت علمياً أن اختلاط الصغار المميزين بالفتيات المميزات له أثر سلبي على الفتيات في عدم انتظام الهرمونات الجنسية. انظر: كتاب أحكام فن التمثيل «تمثيل الصغيرات».

وراء ظهور أهلهم ومعلميهم، وكان في أول السنجقदार ملهى صغير تغني فيه بعض المغنيات من غير المسلمات.

وكنا بعيدين عن عالم الغناء والتمثيل، ولكنني كنت أسمع أنه لم يكن في دمشق من المغنيات المحترفات إلا ثلاث أخوات يهوديات هن «بنات مكنو»، فكان الموسرات من غير ذوات الدين يأتين بهن ليغنين في أعراسهن وأفراحهن، وكان الغناء من الأمور المعيبة المستقبحة التي يستحيا منها، وكان الرقص أفظع منه، ولم يكن يتصور أن تشتغل بالغناء فضلاً عن الرقص بنت أسرة من الأسر الشامية، وإن هي فعلت - وهذا ما لم يسمع بوقوعه - فإن أباهما يذبحها أو يضربها بالرصاص!

هذا إذا هي غتت أو رقصت للنساء، أما أن تغني أو ترقص للرجال فكان في رأيهم من المستحيلات»<sup>(١)</sup>.

ولكننا علينا اليوم أن نقول:

«أما آن للفنان المسلم أن يعوّض ما فات أجداده، من نقص في مجال التغطية التعبيرية للتصور الإسلامي الواسع، وأن ينطلق من هذا التصور نفسه، وبصيغ تعبيرية أكثر جدة وحيوية وطرافة، صوب الآفاق التي تدعوه أن يحث الخطى إليها، لكي يكتسح في طريقه فنون

---

(١) دمشق... صور من جمالها، علي الطنطاوي (١٢٢). وبعد تأملك لما قاله الشيخ الطنطاوي عن أول أفلام السينما بدمشق، وموقفه منها، تأمل ما ذكره نزار قباني عن عم والدته (أبو خليل القباني) ومحاويلته الأولى النارية للبدء بالسينما، وموقفه من الرفض!

انظر في ذلك: دمشق نزار قباني (٢٩)، ثم تأمل تحليلات العلامة محمد كردعلي على نفس المحاولة، كما في: خطط الشام (١٣٠/٤).

المرض والغثيان والدوار، ويطلع على العالم بفنّه الإنساني الأصيل الذي يحتضن في اللحظة المشحونة الواحدة كل ما يضمه الكون من شحنات الحس والوجدان... ويجتاز برؤياه أمداء الزمان والمكان محطماً جدران المرئيات القريبة، ساعياً أبداً صوب اكتناه السر العظيم والناموس الأبدي الذي يسير به الله من عليائه قوى السموات والأرض والحياة والأشياء... طارحاً عليهم - هذا الفنان - صوب ساحات الروح والإشراق حيناً، داخلاً بهم منعطفات سعيهم اليومي وكدحهم المشترك حيناً آخر، مصوراً لهم تفاصيل حاضرم الراهن وملامحه الدائمة، متخطياً حدود الزمان: تارة إلى الماضي حيث الخيال الفني الممتزج بوقائع التاريخ الكبرى، ومنعطفاته الفاصلة، ومواقفه المشهورة، وتارة أخرى إلى المستقبل حيث الرؤى والأحلام؟؟

ليس ثمة ما يحد الفنان المسلم أو يوقفه عن الحركة، حيثما شاء وفي أي وقت شاء... ليس ثمة ما يقف في طريقه صوب التعبير عن أكبر القضايا وأصغرها... عن أشدها قسوة وصلابة، وأكثرها ليناً ونداوة... عن النجم الثاقب في أعماق السماء، وعن خطفه الإيمان الغائرة في ثنايا الوجدان... عن الأكوان والسدم والنجوم وهي تسبح في مداراتها الأبدية... وعن الذات التي لا تراها العيون وهي تسبح بصمت وخفاء في تلافيف الأشياء... عن الملاء الأعلى، والعوالم الخفية والأمم التي لا نعرف عنها إلا القليل القليل: جناً وملائكة، أرواحاً هائمة في الملكوت، وشياطين متحفزة متوثبة في الشنايا والمنعطفات... وعن العالم الراهن بكل ما يحويه من متناقضات وما يثقل به من حس وعذاب، وما يؤرقه من رغبة عاتية في الحرية الحقيقية والعدل والسلام... وقبل هذا وذاك فهناك ما هو أكثر إثارة



وأشد إلحاحاً على الفنان المسلم، وهو يرى جاهلية تحيط به من كل مكان، أينما اتجه وحيثما وضع خطاه... جاهلية لم تبق على مكان واحد في الأرض سليماً معافى من جرائمها وأمراضها... لم تبق حتى على الهواء الذي يحيط بنا من أقطارنا الأربع، وحتم علينا أن نتنفسه، وإلا متنا... نتنفسه فنجد أنفسنا وقد انتقلت إليها العدوى والجراثيم... من أي درجة وبأي مقدار... والفنان المسلم، يحس أكثر من غيره مأساة هذا العفن الذي يسمم الأجواء المعاصرة، وهذا الفساد الذي طغى على البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وهذا السوس الذي ينخر في موجودات الجاهلية الراهنة وأشياءها وإنسانها على السواء... الفنان المسلم يجد نفسه مسؤولاً عن تجسيد المأساة وتصويرها، وعن تشخيص ما فيها من أدواء، وعن تحديد معالم الطريق الذي يخلص الإنسان المعاصر من الدوامة التي تطحنه، ويخرج بها صوب آفاق الصحة والعافية والخلاص... مسؤول أمام الله، وأمام عقيدته، وأمام ضميره، وأمام فنه وقدرته على التعبير، القدرة التي سيحاسبه الله عليها يوماً: فيم أنفقها؟ وفي أي المجالات صرف شحنتها التي لا تكف عن الاشتعال؟... الفنان المسلم مسؤول أمام أرواح ألوف من أجداده وإخوانه، ماتوا وقتلوا وهم يكافحون من أجل كسر الحلقة المفرغة، والخروج بالبشرية إلى عرض الطريق... ومسؤول - وهذا ما يدفعه إلى الثورة والبناء في الوقت نفسه - أمام رسوله العظيم الذي أعطاه التعاليم ومنحه المسؤولية... ومضى... منتظراً من رواد أمته أن يواصلوا المسير...»<sup>(١)</sup>.

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل (١٨٢).

### ثالثاً: الفنون الصوتية:

ونصل الآن إلى أكثر الموضوعات سخونة في الساحة الفقهية في موضوع الفن، وأكثرها إثارة لخلاف الفقهاء مما أعطاه مساحة من الاهتمام باللغة!

ويمكن أن نقسم موضوعات «الفنون الصوتية» إلى أقسام نجملها فيما يلي:

أ - الدفوف والطبول وما شابهها.

ب - الآلات المعاصرة «الإيقاعات عبر أجهزة الكمبيوتر وسواها».

ج - الموسيقى أو المعازف.

والآن إلى التفصيل:

#### ١ - ضرب الدف وسماعه للنساء:

هناك اتفاق عند علماء المسلمين على جواز ضرب الدف وسماعه للنساء، وهناك رأيان في أوقات ضربه وسماعه.

**الرأي الأول:** خلاصته أن الضرب والسماع لا يكون إلا في مناسبة زواج، أو مناسبة عيد فقط. وشدد بعضهم في المسألة وذهب إلى أنه لا يضرب الدف في يوم الزواج للنساء إلا في وقت خروج المرأة للنساء، أي: لدقائق معددة!

**والرأي الثاني:** هو جواز ضرب وسماع النساء للدف في المناسبات المذكورة آنفاً وفي غيرها، ومن غير تحديد سبب أو وقت محدد؛ لأن الأصل في ضرب الدف وسماعه للنساء الإباحة، وليس المناسبة كما يقول أصحاب الرأي الأول.

والراجع - والله أعلم - : هو القول الثاني، لورود أدلة وشواهد كثيرة في ضرب وسماع النساء للدف في المناسبات المنصوص عليها سابقاً وفي غيرها.

ومن هذه الشواهد:

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه: «أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا عائشة أتعرفين هذه؟ قالت: لا، يا نبي الله، قال: هذه قينة - أي مغنية - فلان تحبين أن تغنيك؟ قالت: نعم، قال: فأعطائها طبقاً، فغنتها، فقال النبي ﷺ: قد نفخ الشيطان في منخريها»<sup>(١)</sup>.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «أنكحت عائشة ذات قرابة لها رجلاً من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أهديتم الفتاة؟، قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من يغني؟، قالت: لا، فقال رسول الله ﷺ: إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم»<sup>(٢)</sup>

٢ - ضرب الدف وسماعه للرجال:

وفي هذه المسألة خلاف كذلك.

فالرأي الأول: يرى أصحابه عدم جواز ضرب الدف أو سماعه للرجال، محتجين بعدم وجود أدلة تبيح ذلك، وأن ما ورد من سماع

---

(١) رواه أحمد (٤٤٩/٣) بسند صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه برقم: (١٩٠٠) وهو حديث حسن بشواهد.

النبي ﷺ للدف هو من خصوصياته ﷺ، أو كان الإذن به في مناسبات خاصة كقدوم غائب<sup>(١)</sup>.

الرأي الثاني: هو الجواز<sup>(٢)</sup>.

واستدل أصحاب هذا الرأي بما ثبت من سماعه ﷺ وأصحابه. ومما ورد في ذلك:

ما رواه بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال:

«خرج رسول ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، ودخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف»<sup>(٣)</sup>.

ومنه أيضاً سماعه ﷺ لصوت الدف في يوم العيد، حيث كانت

---

(١) انظر: المدونة الكبرى لابن القاسم (٤٢١/١١)، المذهب للشيرازي (٣٢٧/٢)، الروض المربع للبهوتي (١٢٤/٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٠٢٥/٣)، روضة الطالبين للنووي (٢٢٨/١١)، المحلى لابن حزم (٦٢/٩).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٣٦٩١) وقال: حديث حسن صحيح.

الخيام متقاربة، وقد استنكر أبو بكر رفع صوت الدف من النساء، فنهاه النبي ﷺ، وقال ﷺ: «دعهما يا أبا بكر»<sup>(١)</sup>.

والرسول ﷺ قدوة ومشروع للأمة.

وقد جَوَّزَ هذا الفريق الضرب بالدف للرجال أخذاً بالإباحة الأصلية.

والضرب إن كان للمرأة جائزاً غير ممنوع فهو للرجل كذلك، لتشاركهما في الحكم، وذلك لعدم وجود مخصص، بل الأمر للرجال في حديث: «أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف».

ولأن النتيجة واحدة في السماع.

والراجع - والله أعلم - : هو قول أصحاب الرأي الثاني.

ثم إنه لا يوجد أي دليل يخصص السماع للرجال بوقت محدد، لسماعه ﷺ في أوقات مختلفة، ومناسبات متعددة، وليس في يوم العيد فقط، فلا يقال إن النبي ﷺ لم يُقَرَّ أصحابه على ضرب الدف بحجة العيد فقط.

### ٣ - ضرب الطبل وسماعه :

ورد ذكر النهي عن الطبل بلفظه ومعناه.

أما وروده بلفظه «الطبل» فلم يثبت حديث عن النبي ﷺ في هذا على التحقيق.

---

(١) رواه البخاري برقم : (٣٧١٦).

وأما وروده بلفظ آخر فمختلف فيه.

واللفظ الوارد هو كلمة «الكوبة». وقد اختلف أهل اللغة، وأهل الحديث في معناها. فمن قائل بأنها الطبل<sup>(١)</sup>.

ومن قائل بأنها: النرد، وهي من كلام أهل اليمن<sup>(٢)</sup>.

وأقوال أهل الحديث على ما سبق من كلام أهل اللغة، إلا أنهم اختلفوا في حكم «الطبل».

ومجموع قولهم يتردد بين المنع المطلق، وبين الإباحة المطلقة في أنواع من الطبول، أو الإباحة في أوقات محددة.

### فالرأي الأول:

تحريم سماع الطبل مطلقاً استناداً إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم الخمر والميسر والكوبة»<sup>(٣)</sup>.

وفسروا الكوبة بالطبل عموماً.

### والرأي الثاني:

أن النهي عن الطبل ليس على إطلاقه، بل هو مسموح به في عدة مناسبات كـ«الأعراس والغزو والحج وطبل المسحّر»، وفي غيرها عند بعضهم الكراهة.

---

(١) كما في لسان العرب (٣٤٩/١٣).

(٢) كما في المصباح المنير (٥٤٣/٢).

(٣) رواه أحمد (٨٩/١) بسند صحيح.

إذا فالطبل ليس محرماً لذاته ولا بإطلاقه، بل له مواطن يسوغ فيها وأخرى يمتنع. وهذا هو معنى فهمهم لحديث النبي ﷺ السابق. ومن أقوالهم:

قال ابن عابدين: «وإذا كان الطبل لغير لهو فلا بأس به».

قال القرطبي: «فأما طبل الحرب فلا حرج فيه».

قال ابن مفلح الحنبلي: «وكره أحمد الطبل لغير حرب، واستحبه ابن عقيل»<sup>(١)</sup>.

### والرأي الثالث:

هو إباحة سماع الطبل، إلا الكوبة، وهي أحد أنواع الطبول، وهو طبل طويل متسع الطرفين، ضيق الوسط، وسبب تحريم الكوبة أن المتشبهين بالنساء كانوا يستعملونه، فحرّم للتشبه بهم.

وقد صرح النووي بهذا في قوله: «ولا يحرم ضرب الطبول إلا الكوبة»<sup>(٢)</sup>.

والراجع - والله أعلم -: أن حكم الطبل هو التردد بين الإباحة والكرهية، ويمنع في اللهو المحرم، وجوازه في مناسبات عدّة، عدا الكوبة. وذلك لكثرة أقوال الأئمة وأصحاب المذاهب المعتبرة بعدم تحريم الطبل في الأصل، وسماحهم بالسماع في عدّة مناسبات، وهو ظاهر قول الأئمة الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

---

(١) حاشية ابن عابدين (٥٥/٦)، تفسير القرطبي (٥٤/١٤)، الفواكه الدواني للنفراوي (٣١٣/٢)، المبدع لابن مفلح (١٨٨/٧).

(٢) روضة الطالبين للنووي (٢٢٨/١١)، الوسيط للغزالي (٣٥٠/٧).

ب - الآلات المعاصرة «الإيقاعات عبر أجهزة الكمبيوتر وسواها».

ينبغي أن نبين ابتداءً، أن ثمة فرقاً بين الحكم الشرعي، والحكم العرفي.

فالحكم الشرعي الثابت بالدليل لا يتغير من ناحية الأصل، بينما يتغير أذواق من الناس في السماع من الناحية العرفية على حسب البيئات والأعراف.

كما ينبغي أن نبين مسألة مهمة كذلك، وهي أن بعض الأدوات المعاصرة لم تكن موجودة في الزمن السابق، وبالتالي فإن الحكم على الشيء فرع من تصوره، وقد استوقفني السماع لبعض الأناشيد، ولكنني عند المشاهدة والتطبيق العملي التفصيلي لصناعة الأنشودة المعاصرة أقررت رأبي فيها بشكل واضح.

ولا يعني ذكر رأبي في ما أطرحه أنه لازم لمن رجح لديه غيره، فلا يزال الخلاف الفقهي موجوداً، ويبقى رأي المجتهدين محترماً، ويتم التعامل معه كما يتم التعامل مع بقية المسائل الخلافية.

- وأود أن أنبه أخيراً: إلى أن ما سأذكره من أحكام للأدوات المعاصرة هو للرجال والنساء بلا فرق.

#### ١ - آلة الدف:

حيث يقوم المنشد بأداء أنشودته، ويقوم شخص آخر بضرب الدف مصاحباً له، ويسمى الناتج «أنشودة بالدف».

وحكمها: الجواز، كما رجحت سابقاً في مبحث: ضرب وسماع الدف.



## ٢ - الخلاخل :

وهي «الصنجات الصغيرة» الموجودة مع الدف.

وهناك خلاف حول وجود هذه «الخلاخل» مع الدف في الزمن النبوي، فمن قائل: بوجودها، وبالتالي حكمها: الإباحة<sup>(١)</sup>.

ومن قائل بعدم وجودها، وبالتالي حكمها: الكراهة أو عدم الجواز<sup>(٢)</sup>.

والرأي - والله أعلم - : الجواز، لعدم النهي عنها، لذكره في بعض كتب الفقه مصحوباً بالدف في العهد النبوي.

## ٣ - الصوت البشري (human voice) :

هي مجموعة أصوات يؤديها المنشد بصوته الطبيعي، ومن ثمّ يتم إدخالها في جهاز التسجيل والمعالجة الصوتية لتكون مصاحبة للأنشودة المؤداة.

وهذه الأصوات البشرية يتحكم بها مهندس الصوت؛ ليصحبها مع الأنشودة كما هي، أو يمازج بين مجموعة أصوات بشرية مختلفة.

وحكم هذا الناتج: الجواز.

ويمكن أن يسمى الإصدار الذي يحوي هذه الأناشيد المصاحبة للأصوات البشرية: إصدار «بمؤثر بشري» أو «مؤثرات بشرية».

---

(١) انظر: أحكام القرآن للقرطبي (١٠٢٥/٣)، المحلى لابن حزم (٦٢/٩)، السماع لابن القيسراني (٦٣).

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (٣٥٠/٦)، مواهب الجليل للمغربي (٧/٤)، الروض المربع (١٢٤/٣).

#### ٤ - الإيقاعات :

أصل كلمة الإيقاع: من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها. وسمى الخليل كتاباً من كتبه في ذلك المعنى كتاب «الإيقاع»<sup>(١)</sup>.

وحكم كل إيقاع حكم الناتج من هذا الصوت أيّاً كان، سواء صوتاً بشرياً أو آلة موسيقية أو غير موسيقية.

أمّا عن الواقع المعاصر فإن «الإيقاعات» المصاحبة للنشيد، على نوعين :

#### ١ - جهاز الإيقاعات «القديم» :

هو عبارة عن جهاز أشبه ما يكون بجهاز الهاتف، وفي الجهاز مجموعة من الأزرار، مخزن في كل زر منها صوت معين، إذا ضغطت زراً منها صدر صوت مختلف في هيئته ونوعه عن الزر الآخر؛ فإذا أردت مثلاً أن تضع إيقاعاً لكلمة (مبارك): فعلت فيها ما يفعل العروضيون في تقطيع الكلمة، وضغطت مقابل كل كلمة محرّكة زراً بصوت مختلف، فكلمة (مبارك) مؤلفة من أربعة أحرف، الميم والباء والراء منها محرّكة، والألف والكاف ساكنة، فإذا ضغطت مقابل الميم زراً أصدر لك صوت دف من الوسط - مثلاً - إذ إن صوت الدف من وسطه يختلف في قوته عن صوته من الطرف، ثم تضغط زراً مقابل حرف الباء فيصدر صوت تصفيق - مثلاً - ثم تضغط زراً ثالثاً مقابل حرف الراء فيصدر صوت دف من الطرف كما أسلفت لك القول، إذاً

---

(١) لسان العرب (٨/٤٨٩٧).

هي عبارة عن أصوات مختلفة، وعند العودة للأصل نلاحظ أن حرف الميم هو صوت دف، وحرف الباء هو عبارة عن صوت تصفيق يد مثلاً، وحرف الراء هو صوت دف كذلك، وهكذا.

فهي عبارة عن مجموعة من الأصوات الثابتة والمخزنة في جهاز «الإيقاع القديم» أصلاً، إما دف أو صفقة يد أو الخلاخل أو غير ذلك، فعندما نسمع كلمة (إيقاع) فإن المقصود به هو ما أسلفت.

وحكمه: حكم أصل كل واحد من هذه الأصوات، سواء مفردة أو مجتمعة، وعليه فإن الحكم فيما سبق هو الجواز.

## ٢ - جهاز الإيقاعات «الجديد»:

وهو جهاز الكمبيوتر الحالي، والذي تُخزّن فيه مجموعة من الأصوات البشرية، والآلات الموسيقية وغير الموسيقية، وتدخل فيه عدد من البرامج التي سيأتي تفصيلها - بعد قليل - .

فإذا ما استخدم المنشد الأصوات البشرية والآلات غير الموسيقية، فهو إيقاع من غير موسيقى، وإن استخدم الأدوات الموسيقية فهو إيقاع بالموسيقى.

إذاً، فليس كل شريط يكتب عليه «إيقاع» خالياً من الموسيقى، وليس شرطاً كذلك أن يكون بالموسيقى.

وعليه، فإنني أنصح وأتمنى من كل مؤسسات الإنتاج الصوتي الإسلامية أن تضبط هذه المسألة بأن تجعل كل شريط إنشادي إيقاعي ليس فيه موسيقى هو «إيقاع»، وكل شريط إنشادي فيه ولو ١٪ موسيقى يسمى مباشرة «أغنية هادفة». أو أي اسم آخر، يُخرج المستمع عن التلبس!

## والخلاصة:

أن الإيقاعات وهي الأصوات المختلفة المعروفة منها أو المخترعة، حكمها: حكم أصل كل صوت صادر منها، فإن لم يكن فيها أي آلة موسيقية فحكمها الجواز، مهما كانت نتيجة الأصوات الصادرة، إلا أن يكون شيئاً غير مقبول عرفاً فيراعى ذلك شرعاً وأدباً؛ لأن للعرف أثره على الحكم الشرعي، كما في قول النبي ﷺ لعائشة في شأن الكعبة: «لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وجعلت لها بابين»<sup>(١)</sup>.

علماً أن لكل بيئة عرفها وذوقها الذي ينبغي أن يُراعى في مثل هذه المسألة.

## ٥ - برنامج «السامبلر»:

قلنا: إن الصوت البشري هو الصوت الناتج من أداء المنشد لصوت معين كالآهات، أو مجموعة أصوات متداخلة كالآهات والترنيمات والتمتمات من خلال إطباق الشفتين، وأمثال ذلك.

فإذا ما قام مهندس الصوت وأضاف أصواتاً أخرى، أو ركب طبقات صوتية مختلفة، فهذا ما يسمى بـ «السامبلر».

فـ «السامبلر» هو برنامج يوضع داخل جهاز التسجيل أو التحكم الصوتي، يُشكّل الصوت البشري، أو أي صوت آخر كما يريده صاحبه.

و«السامبلر» برنامج يجمع نماذج متعددة كأصوات بشرية، أو

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٤/٣) وقال: حديث حسن صحيح.

أصوات في الكون متنوعة كـ«خريز الماء، رياح، ...» أو أصوات  
جرّفية كـ«صوت الخشب، والزجاج، ...».

ويمكن للبرنامج كذلك استيعاب أنغام موسيقية.

وبالتالي، فإن جهاز «السامبلر» في أصله ليس موسيقى ولا آلة  
موسيقية، إنما يتحكم بالصوت البشري أو النموذج الصوتي الموجود فيه  
أيّاً كان.

وحكمه: حُكْمُ ما يدخل فيه وما يصدر عنه؛ فإن لم يكن فيه  
موسيقى فحكمه: الجواز، وإن كان فيه موسيقى فحكمه: المنع.

ولأن بعض الأصوات المتداخلة من الإيقاعات أو الموجودة داخل  
السامبلر لا يتم التعرف على ماهيتها، فإنه كثيراً ما يطرح سؤال كبير  
هو:

هل العبرة في التحريم بوجود الآلة الموسيقية؟ أم بالنتاج الصوتي  
الشبيه بالموسيقى؟

والجواب: أن هناك رأيين في هذه المسألة.

فالرأي الأول: أن العبرة بوجود الآلة الموسيقية التي ثبت بالدليل  
تعيينها، لأنّ هذه منهيّات محددة بنص الشرع.

والرأي الثاني: أن العبرة بكل ما هو داخل أو قريب من  
الموسيقى؛ لأن العلة في التحريم هو الصوت الناتج.

والذي أراه - والله أعلم - بعد النظر والتأمل في الأدلة ما يلي:

١ - أن الأحاديث الواردة في الآلات مختلفة. فهناك آلات مُنعت  
كالآلات الوترية، وهناك آلات لم تمنع كالدف.

٢ - أن الأحاديث لم تقيد طريقة الضرب الممنوع أو المسموح

به.

٣ - أن الصوت الناتج من أداء الأنشودة الملحنة بآلة الدف المسموح بها يمكن أن يكون أثره أقوى من غير آلة الدف الموسيقية، ومع ذلك لم تمنع الآلة من الاستخدام.

٤ - كما أن الصوت الناتج من الأنشودة المؤداة بغير أي آلة يمكن أن يكون أثره أقوى من أي آلة موسيقية وغير موسيقية، ومع ذلك لم يمنع المؤدي من ذلك. ودليله: حديث أنجشة الذي أثر في النساء، حتى قال له النبي ﷺ: «رفقاً بالقوارير يا أنجشة»<sup>(١)</sup>.

ونحن وإن كنا نرى أن الأدلة محتملة لكلا الرأيين، إلا أن هناك ضوابط وقواعد شرعية ينبغي التنبه لها، مستنداً قول الرسول ﷺ: «كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»<sup>(٢)</sup>. ومن ثمّ قول ابن رجب - رحمه الله - : «من عرّض نفسه للتهم فلا يلومنّ إلا نفسه». والليب تكفيه الإشارة.

وهذه الضوابط المجملّة هي:

١ - التأكد أن الأصوات المصاحبة للأنشودة بشرية حقاً، أو معها أصوات لم تمر على برنامج موسيقي.

٢ - أن يؤدي المنشدون أناشيدهم عند مهندسي الصوت الصادقين المحافظين، تشجيعاً لهم، وتثبيتاً من عملهم.

---

(١) رواه مسلم (٤/١٨١١).

(٢) رواه مسلم (٣/١٢١٩).

٣ - أن يدرك المنشدون أن إنشادهم رسالة خير، وليس (موضة) أو تشبهاً بالفاسقين، فتتميز طريقة أدائهم لتحقيق الرسالة الإرشادية للنشيد.

٤ - البعد عن الأداء المرفوض عرفاً وذوقاً، والمغيب للكلمات، والمهيج للعواطف، والمتجه نحو أعمال المغنين اللاهين. ويحق للمربين والموجهين عدم دعم مثل هذا الأداء، لآثاره السيئة، وخروجه عن الغاية المرجوة.

وبعد، فيبقى أن ننبه المستمع والمنشد فيما يتعلق بمسألة الإيقاع إلى ما يلي:

أولاً: بالنسبة للمستمع:

فإن له الحق في السماع أو عدمه من الناحية العرفية أو الذوقية، وله حق التوجيه والتقويم والإرشاد والتصويب في مسيرة الفن الإسلامي الراقي.

ثانياً: أما بالنسبة للمنشدين، فتنبههم على:

أ - أن لا يكون صوت الإيقاع أقوى من صوت الكلمات<sup>(١)</sup>.

ب - أن لا تكون الإيقاعات مضروبة بالطريقة الغربية المستنكرة عرفاً وذوقاً.

ج - أن لا تُستخدم الأصوات الباعثة للإنكار والسؤال من المستمعين.

---

(١) انظر البحث القيم: التلوث الصوتي في ميزان المقاصد، د. قطب الريسوني، ضمن مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد (٣٥)، ص: ٢٥١.

د - أن لا يُركز على الإيقاع على حساب الكلمات والألحان  
وهدف الأنشودة.

هـ - الحرص على عدم تقليد الألحان والإيقاعات الغنائية  
المبتذلة، وخاصة المنتشرة بين العوام.

ثالثاً: أما بالنسبة لمهندسي الصوت:

وهنا نبه المنشدين ومهندسي الصوت مرة أخرى على أن لا يخلطوا  
بين المؤثر البشري الذي لا تصاحبه أي آلة موسيقية، وبين الصوت البشري  
الذي يُعزف على خلفية موسيقية كالبيانو أو الناي، ويُقال: إنه صوت  
بشري! وذلك أن الصوت البشري لا يمكن البتة بالمشاهدة والتطبيق أن  
يُصدر هذا الصوت لولا الخلفية المهيأة لصياغته بتلك الصورة.

وأؤكد عليهم مرة أخرى أن يتقوا الله ربهم، وأن يكونوا واضحين  
في ذكر المصطلحات وما استخدموه، بغض النظر عن قناعاتهم الشرعية  
في حكم استخدامه.

فعليهم ذكر ما استخدموه، ويتركوا المستمعين ليأخذوا بما رأوه  
أو مالوا إليه.

ج - الموسيقى:

عجب الباحث لا ينقضي من كثرة من كتب عن هذا الموضوع  
بمذاهب شتى!

فقد طالعت عشرات الكتب عن السلف من المؤيدين والمعارضين  
بالتفصيل، كما قرأت بتمعن ما كتبه المتأخرون، فضلاً عن آراء العلماء  
في فتاواهم، وآراء المجامع والمجالس الفقهية والهيئات الشرعية في  
عدد من بلاد المسلمين.



وبعد طول التأمل والدراسة، والإمعان فيما كتب هؤلاء وهؤلاء،  
أخلص إلى بيان أمرين مهمين: -

الأول: ما يتعلق بطبيعة البحث في هذا الموضوع.

الثاني: النظرة الفقهية العلمية للموضوع.

أولاً: ما يتعلق بطبيعة البحث حول موضوع المعازف أو  
الموسيقى:

١ - الاختلاف اليوم في أمر الغناء والموسيقى ناشئ (كما أرى)  
عن أمرين:

أولهما: أنَّ من يقول بالإباحة ومن يذهب إلى المنع لا يتكلمان  
عن شيء واحد، مع أن الواجب قبل المناظرة تحديد موضوعها.

ثانيهما: أن الطريق الصحيح للاجتهاد هو أن نجمع الأدلة الثابتة  
ونفهمها فحيثما انتهت بنا وقفنا، إما إلى التحريم أو الإباحة.

وبعض الناس يقلبون الوضع، فيضعون النتيجة التي يريدونها إما  
التحريم المطلق وإما الإباحة، ثم يأخذون من الأدلة ما يؤدي بهم إلى  
هذه النتيجة، ومنهم من يدع الصحيح ويأخذ ما لم يصح، وقد يفسّر  
اللفظ على معنى يحصره فيه، مع إمكان فهم معنى غيره<sup>(١)</sup>.

٢ - هناك اتفاق عند علماء المسلمين قاطبة على أن الغناء فضلاً  
عن الموسيقى التي يُدعى فيها إلى كلام باطل، أو يشغل عن طاعة  
واجبة، أو يحضره باطل، كل ذلك محرم بموسيقى أو بغيره.

---

(١) انظر: فتاوى علي الطنطاوي (١١١).

٣ - إن ادّعاء الإجماع المطلق على حرمة المعازف ليس صواباً، وإن ادّعاء قوة الخلاف في الصدر الأول ليس صواباً في المقابل. وسيوضح هذا الأمر في ثنايا الطرح الفقهي<sup>(١)</sup>.

٤ - إن واقع الغناء والموسيقى اليوم أصبح عالمياً خاصاً، وتياراً مؤثراً، وإغفال الحقائق عن هذا العالم والتي انتشر خبرها في الآفاق، وأثبتت وقّيدت عنها تحقيقات خطيرة، يجب أن لا يغفل عنه في الحكم.

هذا فضلاً عن التطور المحموم، والشّعار المذموم الذي أدى بالجيل إلى التراخي وسوء الخاتمة - نسأل الله العافية -، ومن ذلك:

ما ذكرته محطة (H.B.O) إحدى محطات التلفزيون الأمريكي من أن الفرقة الأمريكية آيار وسميث «AEROSMITH» اعترفت علناً وصراحة بعدم قدرتها على إقامة حفلات غنائية في العالم خارج أمريكا، خوفاً من الجمارك التي تصدر المخدرات التي يتعاطاها أفراد الفرقة!

وهذا الحال تدلُّ عليه الخاتمة السيئة لأشهر المغنين كما حصل لملك الغيثار الأمريكي «جيمي هندركسن» الذي هلك بسبب تعاطي المخدرات.

ومثله ملك «الروك اندر رول». وهؤلاء الملوك فضلاً عن غيرهم! وفي منطقتنا العربية من مات وهو يحتضن العود، وآخرون وهم يلحنون فأصيبوا بجلطة نتيجة جرعة جنون مصحوبة بجرعة هروين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الإمام الشوكاني وآراؤه الأصولية، د. شعبان محمد إسماعيل (٨٩).

(٢) انظر شيئاً من أخبار هذا التطور في كتاب «الغناء والمعارف في الإعلام» =

وفي دراسة حديثة كشف عنها باحثون إعلاميون حول القنوات الغنائية في مؤتمر «الإعلام المعاصر والهوية الوطنية» الذي عقدته كلية الإعلام بجامعة القاهرة ناقشوا فيها (١٠٠) أغنية من أغاني الفيديو كليب الحديثة، حيث احتوت هذه الأغاني على: (٧٥٧٣) لقطة، تضمنت (٢٠٥٦) لقطة بها مشاهد راقصة و(١٤٠٩) لقطات تركز على المناطق المثيرة و(٢٤٠٠) لقطة قريبة من مناطق مثيرة و(١٤٦) لقطة تلامس و(١٢٦) تشمل عناق.

وفي تعليق نفيس حول هذه الإحصائيات يقول د. علي بادحدح: «إن هناك من يقول بأن من المتقدمين أو المتأخرين من أباح الغناء، ولكن الغناء في السابق كان يسمع فقط وهو اليوم يسمع ويرى!!»<sup>(١)</sup>.

ومن أراد من أبناء الجيل أن يعرف واقع هؤلاء فليستمع إلى شهادة التائبين والتائبات وحالاتهم النفسية التي أصابتهم، ليعرف أين الحق؟!!

كما أن «هناك دراسة أجريت سنة (١٣٥٩هـ - ١٩٧٥م) من قبل اتحاد الإذاعة والتلفزيون في مصر كانت نتائجها: أن (٥٤,٣٪) ممن أجريت عليهم الدراسة تفضل الاستماع لأم كلثوم، أما إذاعة القرآن الكريم فكان نصيبها فقط (١٤,٧٪) هذا قبل (٢٣ سنة) فكيف اليوم؟!!

وقد أثرت المعازف على الشباب تأثيراً كبيراً:

---

= المعاصر وحكمهما في الإسلام» للدكتور: محمد المرعشلي، وتقديم الدكتور: وهبة الزحيلي.

(١) ملحق «الدين والحياة» بصحيفة عكاظ السعودية، في ٢٩ ذو القعدة ١٤٢٩هـ.

١ - فهي قد أوهت صلتهم بكتاب الله تعالى، وصاروا يتلذذون بالغناء أكثر من تلذذهم بسماع القرآن، وهذا معروف مشاهد، لا يحتاج إلى إيراد أدلة عليه.

٢ - أورثتهم ميوعة ظاهرة وتكسراً وضعفاً، وصاروا يهيمنون في أودية العواطف الكاذبة.

٣ - صارت المعازف في حياة الشباب لصيقة إلى الحد الذي أورثهم إدمانها، كما هو مشاهد، بحيث لا يستطيعون الاستغناء عنها في ظنهم<sup>(١)</sup>.

بل ربما عدّها بعضهم وسيلة لا يستغنى عنها كل صباح للانطلاق في ساحة الحياة للتأثير في الناس نحو الفضائل!!

وإنني لا أظنني واجداً كلمات أكثر تعبيراً عن واقع الغناء والطرب على النفس، أكثر مما ذكره العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، الذي لخص إلفه وعشقه للغناء والطرب في السعودية المحافظة بقوله: «لا أعلم أحداً من أبناء هذه المملكة هوّمْ مع الغناء وتناغم معه وطرب له مثلي»!

ولكنه عقّب على هذا العشق بقوله: «ولكن ما نلت من حسرة مما لا يحصى كثرة من ضيق الصدر وفقد الملازمة للجليس الصالح، والتلاوة بأناء وتفهم ومراجعة، وانصراف للعلم بالنية الخالصة، وأداء الصلاة بخشوع، والحرص على النوافل دائماً في لحظات مزاجية، وحب وهمي، وإيشاك على ما فوق اللمم...»!!

---

(١) أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام، د. محمد موسى الشريف (٤٥).

وبعد اليقظة من الغفلة والكلام بقلب واع يقول: «وإنني والله اليوم - قسماً برّاً لا أكذب عليكم - أكاد أتمزق فرحاً وطرباً كلما سمعت إذاعة القرآن، أو أي ترتيل للقرآن جميل»<sup>(١)</sup>.

نسأل الله الهداية، ونعوذ بالله من حال شيخ بلغ التسعين كان يدور على الجواري حافياً يعلمهن الغناء ثم يصلي قاعداً!!<sup>(٢)</sup>.

ورحم الله الشاطبي وهو يقول:

وقارئه المَرَضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ      كَالأَثَرِجِ حَالِيهِ مُرِيحاً وَمُوكِلاً  
وقوله:

وخيرُ جليسٍ لا يُملُّ حَدِيثُهُ      وَتَزْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً<sup>(٣)</sup>

٥ - إن النظرة الإيمانية الفلسفية لا يمكن أن تتحول إلى واقع تطبيقي دون النظر إلى حال الزمان والمكان والمتغيرات والأشخاص.

فما قاله العلامة د. يوسف القرضاوي من جواز سماع الغناء والموسيقى نهاراً للترويح ثم يبقى المسلم بعد السماع طيلة يومه جاداً عاملاً، وفي جنح الليل متعبداً مصلياً، هل يمكن يا ترى أن يطبقه جيل هذا الزمان بغض النظر عن حقيقة المسألة قبولاً أو رداً؟!<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر المقابلة الماتعة التي أجراها الأخ الصديق ساري الزهراني مع العلامة ابن عقيل الظاهري في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة السعودية بتاريخ ١٨/١١/١٤٣٠هـ.

(٢) السفينة، د. عائض القرني (١٣).

(٣) الأبيات من متن الشاطبية للإمام المقرئ القاسم بن فيره الشاطبي - رحمه الله -.

(٤) انظر: الإسلام والفن، د. يوسف القرضاوي.

وكذلك أن يكون المنع للموسيقى المثيرة، ويا ترى كيف سيتم ضبط هذه الإثارة؟! (١).

ولذا فإن التدقيق في الألفاظ مهم، كي لا يتسرع العجل فيحكم على المسألة لمجرد لفظ غير منضبط، وكي لا يتجنى عجل آخر فيظن أن الضابط محدود بهذه الألفاظ.

ثانياً: النظرة الفقهية العلمية الشاملة حول هذا الموضوع:

أ - ما جاء في القرآن الكريم:

لم يرد في القرآن الكريم نص قطعي بتحريم المعازف، إنما وجد تفسير من بعض الصحابة لبعض الآيات التي فسروها بالغناء، وقد فسرها غيرهم بتفسيرات أخرى، وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

فقد صح عن عدد من الصحابة (ابن مسعود وابن عباس وابن عمر) - رضي الله عنهم -، بأن المقصود بلهو الحديث (الغناء)، وأقسم

---

(١) انظر: الحلال والحرام، د. يوسف القرضاوي (٢٧٣). وبعد تقييدي لهذه الملاحظة، وجدت أن العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني قد بيّنها في كتابه «تحريم آلات الطرب» (٦)، وعلى نفس العبارة، حيث قال بعد عرضه لعبارة «ولا بأس بأن تصحبه الموسيقى غير المثيرة» من كتاب «الحلال والحرام» للعلامة القرضاوي، ما نصه: «هذا القيد نظري غير عملي، ولا يمكن ضبطه، لأن ما يشير الغريزة يختلف باختلاف الأمزجة ذكورة وأنوثة، شيخوخة وفتوة، وحرارة وبرودة»!

ابن مسعود - رضي الله عنه - على ذلك<sup>(١)</sup>.

ونقاش هذا الاستدلال بالتالي:

أ - كلمة (لهو الحديث) فسّرت بمعنى آخر، وهو الشرك، أو الحديث الباطل<sup>(٢)</sup>.

ب - أن قول الصحابي - في أصول الفقه - لا يعتبر حكماً إلا إذا وجد الدليل المؤيد وعدم الاختلاف على المعنى كذلك. وفي حالتنا هذه، تم الاختلاف في تفسير المعنى ابتداءً، ثم إن ألفاظ الغناء أو اللهو واردة في أحاديث مستقلة بالإباحة، سيأتي بيانها فيما يلي.

ج - أن تفسير (لهو الحديث) بالغناء، ليس دليلاً مباشراً للتحريم، لأن الإسلام لم يمنع (الغناء) أصلاً. وفي الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها رجلاً من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من يغني...»<sup>(٣)</sup>.

كما أنه ليس كل (لهو) ممنوعاً. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها زوّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: «يا عائشة ما معكم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: السنن الكبرى، البيهقي (٢٢٣/١٠).

(٢) تفسر الطبري (٢٠٥/١٠).

(٣) رواه ابن ماجه برقم: (١٩٠٠) وهو حديث حسن.

(٤) رواه البخاري برقم (٤٨٦٧).

ومع هذا فإن المباح إن زاد على حده صار جناية، كما قال الإمام الغزالي: «فإن المواظبة على اللهو جناية»<sup>(١)</sup>.

وبالتالي فإن المقصود أن شراء (لهو الحديث) بمعنى الغناء لغاية الصد عن سبيل الله بكلمات وتصرفات وغايات مذمومة أمر محرم، وليس النزاع فيه<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد هذا أن (اللهو) قد أضيف إلى (الحديث) في الآية. وإضافة اللهو إلى الحديث، إضافة الشيء إلى ما هو منه للتبيين والمراد بالحديث هنا: الحديث المنكر. بمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث وغيره. وثمة احتمال آخر أن تكون الإضافة بمعنى (من) التبعية كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه.

واللام في قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ حرف جر للتعليل<sup>(٣)</sup>.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

وفي هذه الآية أيضاً اختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى: ﴿بِصَوْتِكَ﴾ إلى عدة معاني، منها: بالغناء، أو صوت المزمار، أو بوسوستك.

(١) عن الإسلام والفنون، د. الريسوني (٤٨).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي (٢٦٠/٢).

(٣) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت صالح (١٤٥/٩).



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل داع يدعو إلى معصية الله<sup>(١)</sup>.

والشيطان في الحقيقة يدعو إلى كل معصية سواء بالغناء المحرم، أو بالمعازف الملهية، أو الوسوسة، ولذا فإن تفسير ابن عباس هو الأقرب والأوضح.

٣ - قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَعْبُونَ﴾ ٥٩ ﴿وَتَضَعُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ٦١ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ٦٢ ﴿[النجم: ٥٩ - ٦٢]. وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله ﴿سَمِدُونَ﴾، وذكروا لها عدة معانٍ، منها:

الغناء، الإعراض، التكبر، اللهو.

وتفسيرها باللهو والإعراض والتكبر والغناء من قبل المشركين أثناء نزول القرآن وتلاوته والاستهزاء به، كل ذلك معناه صحيح. ولا خلاف في هذه الحال على تحريمه.

هذه هي الآيات الثلاث الأقرب والأظهر للاستدلال بها، لخفاء معناها لدى البعض، وقوة الاستدلال بها.

وتبقى الآيات العامة المتفق على مضمونها العام، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ٧٦ ﴿[الفرقان: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

وكل زور ولغو في الشهادات أو في المجالس كلاماً كان أو غناءً، فيه تجنُّ على الدين. والحديث فيما يضر حتى لو في مجالس

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٨٨/١٠).

الصالحين لا يجوز البقاء فيه، ما لم يتم الإنكار، فضلاً عن غيره مما فيه الفحش. وما مضى موضع اتفاق.

ولذا فإن (اللغو) من الكلام، أو الحلف غير المقصود داخل في قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٢٢٥].

### ب - ما جاء في السنة المطهرة:

يمكن أن نورد الأحاديث الصحيحة التي استُدل بها على التحريم كما يلي:

الحديث الأول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث صحيح عند أغلب نقاد الحديث، والمتأخرون الذين رأوا إباحة المعازف قالوا بتصحيح الحديث، وأنه متصل على شرط الإمام البخاري.

وهذا الحديث هو أقوى ما استدل به المانعون وأظهره.

ولفظه صريح في تحريم المعازف. وأصل المعازف أنها: الملاهي، وهي آلات العزف، وهي تعني الصوت، أي الأصوات التي يلعب بها العازف عبر صوته أو عبر الآلات. و(الموسيقى) هي الأشهر لفظاً اليوم وتطلق على نفس (المعازف)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٥١/١٠)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) المعجم الوسيط (٥٧٣/٢).

والمعازف أو (الموسيقى) تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - قرعية: التي يُضرب بها، كالطبول، دفوف، دربكة، خلاخل. وقد سبق التفصيل فيها.

٢ - نفخية: التي ينفخ بها، كالناي، والمزمار.

٣ - وترية: التي تستخدم فيها الأوتار، كالعود، والربابة، والكمان.

والمبيحون للمعازف، المصححون لهذا الحديث، وصلوا إلى التالي:

أن المقصود بالتحريم ما إذا اجتمعت المنكرات مع بعضها، لا أن المعازف محرمة لذاتها.

وقالوا: إن قوله ﷺ «يستحلون» لو كان معناه: اعتقاد الإباحة، لكان كفراً، لأن استحلال الحرام المقطوع به كفر بالإجماع.

وأن ظاهر الحديث يوحي بواقع قوم انغمسوا في الترف والفساد واللهو من الغناء وشرب الخمر ولبس الحرير.

وهذا التفسير لا يُسلَّم به كما قال الإمام الشوكاني: «الاقتران لا يدلُّ على أن المحرم هو الجمع فقط وإلا لزم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم إلا عن شرب الخمر واستعمال المعازف، واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله»<sup>(١)</sup>!

ولذا لم يكن الكلام دقيقاً في أن «العقوبة الواردة في الحديث مرتبة على جمع هؤلاء الأقوام للمذكورات وليس على استحلالهم

---

(١) نيل الأوطار (١٧٩/٨).

لبعضها على الانفراد، وهذا ظاهر لا ينبغي إنكاره»<sup>(١)</sup>!

وقولهم: إن المعازف مأذون بها في الشرع أصلاً، ولذا كان التحريم لمجرد الاقتران في الحديث، أيضاً لا يُسلم به.

فالمعازف المستثناة بالدليل الصريح هي (الدف).

ومع هذا النقد فإن وجه التحريم المبني على الاقتران قائم، لأنه ثمة ما هو مباح منها أصلاً كالحرير! ولطالما كان النقاش مبنياً على أصول التحرير والتحقيق فهو المأمول سواء وافقنا أم توقفنا أم اعتراضنا!

الحديث الثاني: «إن في أمتي خسفاً ومسحاً وقذفاً، قالوا: يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ فقال: نعم، إذا ظهرت المعازف، والخمور، ولُبِسَ الحرير»<sup>(٢)</sup>. وللحديث روايات أخرى مختلفة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الموسيقى والغناء في ميزان الإسلام، الشيخ المحدث: عبدالله الجديع (٩٤). وانظر مناقشة هذا الرأي للشيخ عبدالله رمضان بن موسى، في كتابه: الرد على القرضاوي والجديع (٢٢٤) وهو كتاب مفيد، ولو أنه أحسن في اختيار الألفاظ، وتلمس بعض المعاذير، وتوسع في أقوال العلماء ونقاد الحديث على من تُكَلِّم فيهم دون تعصب لطائفة محددة لكان للبحث قيمة أكبر وأوثق، ولكن هكذا هي أغلب الردود، تسرك وتسوؤك! والله المستعان.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٤/١٥) وهو حديث حسن. من رواية عبدالرحمن بن سابط رضي الله عنه.

(٣) انظر: فصل «الأحاديث الصحيحة» (٣١٨ - ٣٢٧) من كتاب الموسيقى والغناء في ميزان الإسلام، للشيخ المحدث: عبدالله الجديع.

والحديث عند المانعين وهم أكثر علماء الأمة واضحٌ ظاهرٌ في التحريم، إلا أن من رأى عدم المنع حملوا النهي على اجتماع هذه المنهيات، والإجابة عن هذا الرأي قد سبقت في الحديث الأول.

الحديث الثالث: «أن ابن عمر سمع صوت زمارة راع، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع، أسمع؟ فأقول: نعم فيمضي، حتى قلت: لا، فوضع يديه، وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله ﷺ وسمع صوت زمارة راع، فصنع مثل هذا»<sup>(١)</sup>.

والحديث ظاهرٌ في نفرة النبي ﷺ من سماع المعازف. كما أن في الحديث توجيهاً إلى أن سماع المعازف لذاتها لهوٌ وشغلٌ عن كثيرٍ من الخير، وأن أرباب الفضل والمعروف ينبغي لهم الاقتداء بفعل النبي ﷺ، فهو الأكمل والأسلم لحالهم!

وقد رأى المبيحون أن فعل ابن عمر رضي الله عنه هو من باب الكمال لا من باب الوجوب، فإن الامتناع كما ذكروا لا يلزم منه التحريم.

وأما ما ورد عن صحابة رسول الله ﷺ من آثار عديدة صحيحة في موضوع الغناء ومنها:

عن وهب بن كيسان، قال: قال عبدالله بن الزبير، وكان متكئاً: تَغْنَى بلال، قال: فقال له رجل: تُغني؟ فاستوى جالساً، ثم قال: وأيُّ رجلٍ من المهاجرين لم أسمعهُ يتغنى النَّصْب؟ - والنصب كلمات ملحنة

---

(١) رواه أحمد (١٣٢/٨) بسند صحيح.

كالأهازيج الشعبية - . وفي لفظ: ما أعلم رجلاً من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم<sup>(١)</sup>.

وروى عبدالرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة، قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب في الحج الأكبر، حتى إذا كنا بالروحاء، كلم القوم ربّاح بن المُغْتَرَف، وكانَ حسنَ الصوت بغناء العرب، فقالوا: أسمعنا يا ربّاح، وقصّر عنا المسير، قال: إني أفرق من عمر، فكلم القوم عمر، فقالوا: إنا كلمنا ربّاحاً يسمعنا ويُقصّر عنا المسير، فأبى إلا أن تأذن له، فقال: يا ربّاح، أسمعهم، وقصّر عنهم المسير، فإذا أنحزت فأرفع. قال: وحدا لهم من شعر ضرار بن الخطاب، فرفع عقيرته يتغنى وهم محرمون<sup>(٢)</sup>.

و(رفع عقيرته) تقولها العرب لمن رفع بالغناء صوته.

وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب، قال: سمع عمر رجلاً يتغنى بفلاة من الأرض (وفي رواية: وهو يحدوا بغناء الركبان)، فقال: الغناء من زاد الراكب<sup>(٣)</sup>.

وعن محمد بن عبدالله بن نوفل: أنه رأى أسامة بن زيد في مسجد الرسول ﷺ مضطجعاً، رافعاً إحدى رجليه على الأخرى، يتغنى النَّضْب<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه البيهقي (٢٢٥/١٠) بسند صحيح.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٢٥٠/٣) وهو أثر حسن.

(٣) أخرجه البيهقي (٦٨/١٠) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد (٢٢٤/٢٢) بإسناد صحيح.

## وكل الآثار السابقة إنما تفيد الخلاصة التالية:

جواز سماع الغناء المباح غير المصحوب بالمعزف عدا الدف، سواء في وقت مناسبة أو غير مناسبة، وسواء أغنوا بأنفسهم أم غنت لهم الجواري.

وما وصل إليه الشيخ المحدث عبدالله الجديع بعد عرضه لأقوال الصحابة الثابتة في الغناء والمعازف بقوله: «ليس في شيء من كلامهم تحريم الموسيقى، إلا ما جاء عن ابن عباس وحده على نظر في ثبوته»<sup>(١)</sup> فيه نظر! لأن الأصل هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ من الكلام عن المعازف، وليس في كلامهم شيء على الإباحة إلا الدف الذي ثبت فيه الدليل.

### ● أحكام المعازف في المذاهب الأربعة:

لو تتبعنا ابتداء آراء المذاهب الأربعة لوجدنا بوضوح النصّ على منعهم سماع المعازف<sup>(٢)</sup>.

#### أولاً: في الفقه الحنفي:

قال علاء الدين الإسيبحاني: «ولا تجوز الإجارة على شيء من الغناء والنوح والمزامير والطبل وشيء من اللهو ولا على الحداء وقراءة الشعر ولا غيره ولا أجر في ذلك، وهذا كله قول أبي حنيفة وأبي

---

(١) الموسيقى والغناء في ميزان الإسلام، (١٧٦).

(٢) انظر: الباب الثالث - الفصل الأول - من كتاب: الرد على الشيخين يوسف القرضاوي وعبدالله الجديع (٣٧٣)، والفصل الرابع من كتاب: الريح القاصف (١٦١).

يوسف ومحمد، لأنه معصية»<sup>(١)</sup>.

والإمام أبو حنيفة ذكر الضمان لمن أتلف آلات اللهو لصاحبها عمداً، أو غصبها فأتلفها، فيضمنها خشباً وهذا الضمان إنما هو لغير القاضي والمحتسب.

وفي الفتاوى الهندية: «اختلفوا في التغني المجرد، فقال بعضهم: إنه حرام مطلقاً، والاستماع إليه معصية. ومنهم من قال: لا بأس بأن يتغنى ليستفيد به من نظم القوافي. ومنهم من قال: يجوز التغني لدفع الوحشة إذا كان وحده، ولا يكون على سبيل اللهو، وإليه مال السرخسي.

وقال السرخسي: لا تجوز الإجارة على شيء من الغناء والنوح والمزامير والطبل وشيء من اللهو، لأنه معصية والاستئجار على المعاصي باطل»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن نجيم: «الملاهي كلها حرام حتى التغني بضرب القصب»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً في الفقه المالكي:

سئل مالك رضي الله عنه عن الغناء، فقال: «إنما يفعله عندنا الفُسَّاق»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) حاشية تبين الحقائق، الزيلعي (١٢٦/٥).

(٢) المبسوط (٣٨٠/١٦).

(٣) البحر الرائق (٢١٥/٨).

(٤) مختصر ابن عبدالحكم مع شرح الأبهري (٦٧).



وفي مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني: «ولا يحل لك أن تتعمد سماع الباطل كله، ولا سماع شيء من الملاهي والغناء»<sup>(١)</sup>.

وفي الشرح الصغير: «يحرم الغناء، ويحرم استماعه إذا كان يثير الشهوة، أو كان بكلام قبيح، أو كان بآلة من ذوات الأوتار. فإن لم يوجد واحد من هذه الأشياء الثلاثة كان الغناء مكروهاً إن كان من النساء، فإن كان من الرجال فلا كراهة ما لم يكونوا متشبهين بالنساء، وإلا كان حراماً».

### ثالثاً: في الفقه الشافعي:

جاء في الأم: «ولو كسر له طنبوراً أو مزماراً أو كَبَرًا - طبل - فإن كان في هذا شيء يصلح لغير الملاهي فعليه ما نقص الكسر، وإن لم يكن يصلح إلا للملاهي فلا شيء عليه»<sup>(٢)</sup>.

وفي المجموع للنووي: «وإن وصَّى له بطبل من طبله، فالوصية باطلة، لأنه وصية لمحرم، فإن وصى بعود فالوصية باطلة لأنه وصية بمحرم»<sup>(٣)</sup>.

### رابعاً: في الفقه الحنبلي:

سئل الإمام أحمد عن القوم يكون معهم المنكر مثل طنبور ومسكر وأشباهه، يكسره إن رآه؟ قال: «يكسره إن رآه». وقال المرداوي: «يكره سماع الغناء، وفي المستوعب والترغيب وغيرهما:

---

(١) الفواكه الدواني (٢/٢٩٨).

(٢) الأم (٤/٢٢٥).

(٣) المجموع (١٥/٤٨٨).

يحرم مع آلة لهو، بلا خلاف بيننا<sup>(١)</sup>.

وحاصل هذه المنقولات ما يلي:

١ - أنه لم يرد عن أي أحد من أصحاب المذاهب الأربعة إباحة المعازف، بل العكس تماماً نُقل عنهم التحريم، وهو الأشهر في مذاهبهم.

٢ - أن الإجماع المذكور في تحريم المعازف عن الأئمة الأربعة صحيح، عدا الدف والطبل ففيها خلاف في مواضع مختلفة.

٣ - أن الإجماع ليس شاملاً لكل العصور، بل وقع الخلاف والتردد في الحكم من أتباع المذاهب، وكذا أصحاب المذاهب المستقلة.

#### ● اجتهادات مبيحي المعازف:

هناك خلط شديد لدى بعض الكتّابين بين سماع الغناء وسماع المعازف!

فسماع الغناء الذي هو كلام مباح لا يختلف على إباحته أحد، إلا ما كان من باب اللهو والفسق ومتعلقات أخرى للغناء... فلبعض الفقهاء كلام يُقبل حيناً، ويؤنس به حيناً، ويعرض عنه حيناً آخر! لأن المسألة تعود أولاً وآخرًا لنصوص الوحي.

أما سماع المعازف، فهو مربوط الفرس.

فأما في جيل الصحابة كلهم فليس ثمة قول واحد يصح عن

---

(١) الإنصاف (٥٢/١٢).

سماع أحدهم للمعازف، وكذا عن الأئمة الأربعة المتبوعين، وهذا حق لا مرأى فيه.

إلا أن من الإنصاف والمنهج العلمي التأمل في أقوال الأئمة الذين لا يحصرون بزمان أو مكان، ممن نقل عنهم الكلام في سماع المعازف بشرط النقل الأمين!

فمن كبار الأئمة الذين أبدوا رأيهم قديماً في مسألة سماع المعازف حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الشافعي مذهباً - رحمه الله - (ت: ٥٠٥هـ)، الذي أذن بآلات المعازف مشروطاً السلامة من العوارض الخمسة: من امرأة لا تحل، أو آلات معازف هي من شعار أهل الشرب أو المخنثين، أو أن يكون مصحوباً بكلام فسق وخنا، أو أن يؤثر الصوت على المستمع فتغلب عليه شهوته، أو أن يكون المستمع من عوام الخلق، ولم يغلب عليه حب الله!

وبعد هذا البيان من الغزالي - رحمه الله - نصَّ على أن من كان سماع الغناء ديدنه وهجيره وقصر على أكثر أوقاته فهو السفیه الذي ترد شهادته!<sup>(١)</sup>. وبهذا يتضح أن السماع عنده بحساب!!

ومن كبار الأئمة الفقيه العبقري ذو الفنون والمعارف علي بن أحمد ابن حزم - (ت: ٤٥٦) - الذي ترجم له فأحسن الإمام الذهبي في سيره في ٢٩ صفحة<sup>(٢)</sup>، وكذا أجاد في ترجمته العلامة أبو زهرة من المتأخرين<sup>(٣)</sup>، كما أحسن د. فريد هادي في جلاء منهج ابن حزم

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/٣٩٢).

(٢) سير أعلام النبلاء، ترجمة الإمام ابن حزم - رحمه الله - .

(٣) ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه.

في فقهه من خلال حكمه على الرواة<sup>(١)</sup>.

وقد اجتهد ابن حزم - رحمه الله - في حكمه على أحاديث المعازف، فأصاب بعضاً وأخطأ بعضاً آخر. ووصل إلى أنه ليس ثمة حديث صحيح يمنع المعازف.

والإمام ابن حزم (رحمه الله) في هذه المسألة ليس متجاوزاً للنص أو متهاوناً في الأخذ به، كيف وهو الذي يقول: «أصل مذهبنا أن الأخذ بظاهر القرآن والحديث الصحيح حق»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «من أحال نصاً عن ظاهره في اللغو بغير برهان من آخر أو إجماع فقد ادعى أن النص لا بيان فيه»<sup>(٣)</sup>.

ومع اجتهاده نجده يقر بكل وضوح حالفاً بالله إذعانه للحديث النبوي الصحيح في باب المعازف بقوله: «والله لو أسند جميعه أو واحد منه فأكثر من طريق الثقات إلى رسول الله ﷺ لما ترددنا في الأخذ به»<sup>(٤)</sup>، ومع هذا نجده يقول هذا التوضيح: «وكذلك من اشتغل عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن، أو بقراءة السنن، أو بحديث يتحدث به، أو ينظر في ماله، أو بغناء، أو بغير ذلك، فهو فاسق، عاص لله تعالى، ومن لم يضيع شيئاً من الفرائض اشتغالاً بما ذكرنا فهو محسن».

---

(١) منهج ابن حزم الظاهري في تجهيل الرواة وأثره على فقهه، د. فريد هادي، (مخطوط).

(٢) الإحكام (٤٢/٣).

(٣) الإمام ابن حزم ومنهجه التجديدي في أصول الفقه، عبدالسلام عبدالكريم (٧٥).

(٤) المحلى (٣٣٢/٩).

ولن يخرج الاستدلال في مبحث المعازف عند المبيحين عن ثلاثة أمور:

١ - تضعيف حديث البخاري «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الخمر والحريير والخمر والمعازف»<sup>(١)</sup>.

وقد صححه الأكثر. مع أحاديث أخرى في غير الصحيحين، جرى ذكرها بين صحيح وضعيف وموضوع.

٢ - تأويل الأحاديث التي يمكن تصحيحها، ما بين وصف الحالة المصاحبة لسماع المعازف المترددة بين الإباحة والكراهة والمنع، وبين ضعف الأسانيد.

ومن ذلك تأويل الحديث عن ظاهره الصريح في منع السماع.

٣ - الأخذ بنقولات مختلفة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهي متفاوتة السند، والمقصد.

٤ - هناك من الأئمة الكبار كشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) من فرق بين السماع العارض غير المقصود لذاته، وبين الاستماع المقصود الذي عليه الحرج، والذي يبني عليه في القلب ما يبني، وقد عبّر عن هذا المعنى بعبارة واضحة دقيقة يقول فيها: «والأمر والنهي إنما يتعلق بالاستماع، لا بمجرد السماع»<sup>(٢)</sup>.

ووجدنا أن تلميذه الإمام ابن القيم (رحمه الله)، ذكر أنه يجوز الاستعانة ببعض الباطل لتحقيق مصلحة أعلى، والباطل عنده على

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٥٦٦).

التحقيق ما رأى فيه النهي الشرعي على وجه الاجتهاد لا على وجه القطع وإن كان قد شددًا على خطورة السماع الملهي، وخاصة ما وافق أصحاب الطرق المنحرفة، مع تشدده الواضح وتمسكه بالمنع. وإن كانا قد شددًا على خطورة السماع الملهي، وخاصة ما وافق أصحاب الطرق المنحرفة.

وهذا الفكر المقاصدي كان منطلقاً من قواعد الشرع، الذي بني عليه الاجتهاد والدعوة على بصيرة، مع قمة الحرص على ثوابت الشرع، والتمييز الواعي المؤصل بين الوسائل والمقاصد<sup>(١)</sup>.

وبعد: فإن كل ما ذكره المتقدمون وأتباعهم من الإذن بالمعازف هو مشروط بعدم الخروج عن الطاعة، والاشتغال عنها.

ولذا سنجد الجواب عن مسألة المعازف عند المتأخرين أشبه بالفتوى المقتضبة، التي لا تخلو عن الأمور الثلاثة<sup>(٢)</sup>!

ولا عيب في الاختيار إن راعى صاحب العلم المؤهل له وجه الله وكان باحثاً عن الحقيقة.

وسيكون المانعون للسماع، الحذرون من المشتبهات في رأيهم قد استبرؤا لدينهم وعرضهم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر البحث القيم: «الفكر المقاصدي... قواعد وفوائده» د. أحمد الريسوني.

(٢) انظر: فتاوى الشعراوي (١٦١)، فتاوى علي الطنطاوي (١٠٨)، فتاوى محمد أبو زهرة (٧٩٧)، فتاوى مصطفى الزرقا (٣٤٥)، فتاوى العلماء في عموم الفنون من كتاب: «بين الفن والفقه»، للأستاذ: رجب أبو مليحه، وفيه جمع جيد.

(٣) انظر: الكتاب القيم: التطرف الديني... الرأي الآخر، د. صلاح الصاوي (١٧٢).

## ● بيان آراء أتباع المذاهب:

من خلال التتبع والاستقراء لأقوال أتباع المذاهب الأربعة، ومن سواهم من الأئمة الأعلام نجد البحث ينحصر في عدّة مسائل، وهي:

١ - أن المشتهر في كتب المذاهب المنع والتحذير، وفي مقابل ذلك وجود نصوص واضحة عن عدد غير قليل من الإذن بالسماع، ولكنه نُقل بأوصاف محدودة، وعن ثقات من أهل العلم والعمل، مع تنبيهاتهم المتكررة على موانع السماع المستفيضة الذكر في كتبهم.

٢ - أن غاية من ناقش مسألة المعازف من أتباع المذاهب كالغزالي الشافعي، أو من سواهم كابن حزم الأندلسي الظاهري، هي التوقف عند صحة الأحاديث الواردة في المعازف، أو في دلالاتها، والتي تم عرضها سابقاً.

٣ - أن النظر إلى الجانب الجمالي في الإسلام وربطه في الحكم على الأحاديث له وزنه وأثره في حالة عدم وجود الدليل الصريح الصحيح في المنع. والجمال الحقيقي في السماع إنما هو وفق ما يرضي الله ورسوله ﷺ.

٤ - أن التجاوزات في وصف من غنى بالمعازف بالمارق عن الدين، والمرتكب للكبيرة، ليس لها أصل ولا مستند.

وقد نقل أبو عمر بن عبد البر من أن علم الموسيقى كان في الصدر الأول عند من يعلم مقداره من أجل العلوم، ولم يكن يتناوله سوى أعيان العلماء وأشرافهم<sup>(١)</sup>. ونقل الأذفوي عن الإمام البخاري

---

(١) التمهيد (١٠/١١٥).

قوله: لم يختلف النقلة في نسبة الضرب (بالعود) إلى أشهر المحدثين وأوثقهم وأكثرهم رواية بالمدينة!!<sup>(١)</sup>.

فهل يا ترى سيستمر مسلسل إسقاط العدالة لكل الثقافات لمجرد رأي واجتهاد؟!

● ملاحظات حول كتابات الباحثين المعاصرين في موضوع

المعازف:

إن مبدأ الاحترام والتقدير لأهل العلم واجب شرعي ونبيل إنساني. وقد بذل عدد من الباحثين من أهل العلم جهدهم، وهم على مستويات مختلفة. وللحق فإن بحوثهم متفاوتة، فقد تجد الاهتمام بالجانب الحديثي دون الفقهي، أو العكس. وهذه ملاحظة خطيرة إذا اعتمد على جانب دون جانب في الحكم.

وملاحظة ثانية تتعلق بدقة الألفاظ وخاصة في عرض النصوص، ومن ثم أقوال الفقهاء. فقد لوحظ اختيار المعاني، دون ذكر الألفاظ بعينها التي يُبنى عليها من الآراء ما يبنى.

وملاحظة ثالثة هي التعدي - وإن لم يكن مقصوداً - على آراء علماء وباحثين في إحدى المسائل المتعلقة بالمعازف، والوصول بالموضوع إلى وقف باب الاجتهاد من حيث لم يدرك صاحبه! ولربما أساء باللفظ على غيره لوقوعه في خطأ منهجي قام هو بفعله بغير قصد... ودوننا الشواهد:

---

(١) نيل الأوطار (٢٦٥/٨). والضرب (بالعود) أي بالأعواد سواء خشبية أو نحوها، وليس العود الوتري اليوم، المسمى به، وقال بعضهم العود الوتري وإن كان ليس على هيئة العود الحالي.



١ - قال الشيخ المحدث عبدالله الجديع بعد عرضه لمناقشة ما دلَّ عليه حديث المعازف في البخاري: «فخلاصة القول في دلالة حديث الاستحلال المذكور أنه (لا بدّ) من حمله على الأصوات الداعية إلى معصية الله وموافقة حال الزناة وأهل الخمر... وأن حمله على تحريم الآلات لذاتها مردود لا يصح. فكيف يصح لفقهاء بعد أن (يدّعي) أن هذا الحديث نص وصريح في حرمة الآلات وأصواتها مطلقاً مع ما تقدم من البيان والإيراد»<sup>(١)</sup>!

ولا شك أن مثل هذه الألفاظ مجازفة في حق كثير من العلماء منذ صدر الأمة إلى هذا الزمان، الذين لم (يدّعوا) ما اجتهدوا فيه ووصلوا إليه، وأنه لا يلزمهم الأخذ بما أخذ به فضيلته، وأنه (لا بدّ) أن يتفهّم فضيلته ما تفهمه غيره ما دامت المسألة كما يقول خلافة!

٢ - إطالة الألفاظ الجارحة القاذحة في المنهجية التي أكثر منها الشيخ (عبدالله رمضان بن موسى) في رده على الشيخين يوسف القرضاوي وعبدالله الجديع، ووقوعه في نفس ما خطّأهم فيه أحياناً!

ومن ذلك تضعيفه للحديث الذي صححه الشيخ الجديع وهو حديث جابر بن عبدالله، قال: كان الجوّاري إذا نكحوا كانوا يمرون بالكِبَر والمزامير ويتركون النبي ﷺ على المنبر، ...

وذكر أن فيه (يحيى بن صالح الوحاظي)<sup>(٢)</sup> وأن هناك عدداً من الأئمة طعن فيه، في حين لم يذكر الأئمة الذين خرجوا له في

---

(١) الغناء والموسيقى (١٠٢).

(٢) الوحاظي، ضبط بكسر الواو، وفتحها وضمها! من أهل دمشق، وقيل: من أهل حمص.

صاححهم كالبخاري ومسلم ووثَّقوه!<sup>(١)</sup>.

فادّعاء أن كل من تجاوز عن ذكر آراء بعض العلماء هو مدلس ومخف للحقيقة، قد ينطبق على من استخدم مثل هذا الأمر!

ولذا فإن من العيب كثرة التنقص، والتنذر على الأخطاء، وإغفال الاستنباطات العلمية الصحيحة، وتراكم الألفاظ الجارحة على حساب الألفاظ الهادية، والله المستعان.

٣ - وصف بعض نتائج البحوث بأن فيها اتباع هوى، بمجرد تصفّحها دون التمعن فيها<sup>(٢)</sup>! ونحن وإن كنا نستاء من اقتحام حمى المسائل العلمية بلا رقيب، فإننا نستاء كذلك من التجرؤ عليها بمبادئ مسبوقة!

#### ● وتبقى كلمة:

وبعد، فأظن أن المناقشة الهادئة والاستيعاب المتعمق لأطراف المسألة، والنظر في الأبعاد التي تتشكل وراء استخدام المعازف لها أثرها ومدلولاتها وحكمها في المسألة.

ويجب أن نعترف ونقدّر أن النقاش في هذه القضية قديم جداً! وأن ثمة اتفاق حول تحريم استخدام المعازف المصاحبة لكل

---

(١) انظر ترجمته في تقريب التهذيب، ابن حجر (١٠٥٧). وانظر: إنصاف الإمام الذهبي، د. محمد موسى الشريف (٧٤).

(٢) انظر تعليق الشيخ: أبو عبد الرحمن ابن عقال الظاهري، من كتابه: صور ذهنية عند اللقاء الأول - ظاهري بالفطرة - (٩٧). في رده على كتاب د. سالم بن علي الثقفي في الغناء والمعارف.

رديلة أو صارفة عن الواجب. وأنه لا دليل مباشراً في إباحة المعازف يعتمد عليه، بينما الأدلة في المنع هي الصحيحة الصريحة عند الأغلب. وهذا التقرير لا بد منه بعد عرض ومناقشة ما سبق من نصوص وأقوال معتبرة. وأن الخلاف في المسألة حاصل، وأن المناقشة العلمية لبعض الأحاديث المانعة تضعيفاً أو تأويلاً وارد، مع مراعاة الضوابط المتفق عليها عند الجميع.

واستيعاب المسألة بهذا القدر، مع الاحترام لكل من كتب بمنهج علمي أصيل، يؤكد على عدم توسُّع استخدام هذه الآلات كمهنة شريفة خالصة، أو توسع السماع لكل مغنية بطيب الكلام، أو السرور بكونها جالبة لطمأنينة القلب، وراحة البال، ودوام السرور!

إذ غاية ما يمكن قوله عند المجيزين الإباحة بضوابط!

والتي يرون تفعيلها فيما ينفع بقدر ما ينفع المباح. والمباح مع الشطط يؤدي إلى العقوبة، والإفراط به يؤدي إلى الخطيئة.

وعند هذا الحد نقول: (ما على المحسنين من سبيل)!

ولعل في هذه الخلاصة جمعٌ لما تفرَّق، وتوجيه لمن فرَّق.

سائلاً المولى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبساً علينا فنضل.

وألا نكون قد حرمنا شيئاً أباحه الله، أو أبحنا شيئاً حرمه الله، وأن يرزقنا البصيرة والسعادة والسرور والطمأنينة.

ففي اتباع منهج الحبيب ﷺ الراحة، وفي التزام الإسلام الجميل الرائع السلوة.

## الفصل الثالث

### ● إنسانية الفن الإسلامي :

إذا آمنّا أن الفن في التصور الإسلامي هو لون من ألوان النشاط الإنساني، وأنه وسيلة معبرة وأداة فاعلة في حركة الحياة، فإن هذا يدعو كل صاحب مهارة أن يتعامل مع هذه الوسيلة أحسن التعامل لتحفيز عطاءاته في حدوده المتاحة، وإذا تضافرت جهود التجار وصرفت أموال الصدقات في نسج حلقات المشروع الحضاري في كافة المجالات المتجددة في أولوياتها الاجتماعية أو سياسية أو خيرية أو ثقافية... فإنها ستفعل الأفاعيل بإذن الله.

وإذا وظّفت طاقات العاملين في حقل الدعوة خصوصاً، والأمة عموماً لهذا النوع من الإعلام بعد التدريب العملي والتوجيه الفكري والتوازن الحياتي، فإن ضمانات مسيرة التحدي أقوى وأكبر وأعمق.

لقد آن الأوان لإغلاق ملف الخصومة مع عالم الإعلام والفن، ورسم الخطط والأفكار الفاعلة، مع تفعيل حركة التمويل ليكون الفن ضمن الوظائف التربوية العصرية لجيل الدعوة، والتي ستختصر لهم الطريق - بإذن الله - في عالمهم الفسيح.

## ● الفن والدعوة:

فلنطمئن أنفسنا منذ البداية أن منهج الدعوة توقيفي!

ولكن لا بد أن نطمئن أنفسنا كذلك أن وسائل الدعوة توفيقية!!

فمجال الدنيا وروائع ما فيها تنسجم في حس المسلم الواعي البصير بأحكام الدين، فله أن يرى ويسمع ويرسم ويلهو بكل متعة حلال، أحلها الإسلام الحنيف، لا حمالات الجهال، وسادّي الذرائع مطلقاً!

وفي قصة سليمان مع بلقيس أبلغ صورة عصرية راقية في استخدام أرقى الفن في إظهار وسائل الدعوة، وذلك عندما بنى لها صرحاً ممرداً من قوارير، في تحفة جمالية فنية مبهرة رائعة، عسى أن يؤثر هذا المنظر في مخيلتها، ويهيّج تصورهما عن دين سليمان، ليسهل البلاغ بعدئذ!

إن إحياء الفن الراقي في خدمة الإسلام، ونصرة المسلمين، والسعي لإتقان صنعته، ونشره بأقوى تقنياته لدى المقتدرين، وتبسيطه في محافل الناس العامة بكل وسائل النقل الحديثة على قدر إمكانية العاملين، لهو لون من ألوان الجهاد الكبير في الدعوة.

ويوم نريد أن ننجح في كسب الجمهور وانحيازهم نحو الفن الهادف، فإننا لا بد أن نؤمن أن علينا دوراً كبيراً وملحاً في إتقان صنعة التأثير ولكن بروح الفن الذي دل عليه الإسلام. وعندني أن الإخفاق الكبير في عالم الفن إنما حلّ يوم ظننا أنه لا يُصنع من الداخل الذي أصّل له وأكسبه المرونة والحيوية والسعة والتدفق والجمال.

ومما ينبغي أن يلتفت إليه في أعمال الدراما الهادفة التوسع في

قراءة الكتابات الفنية الراقية التي تقترب من كتابات السيناريو، وهي تحمل دلالات عميقة، ولمسات فنية مؤثرة<sup>(١)</sup>.

وهذا الاعتناء يهدي إلى سلوك الدراما الهادفة بآلياتها الصحيحة، لتلك السيناريوهات العرجاء التي تعتمد على (الأنا) فتراها فقيرة القيم الفنية، سطحية الدلالات، لا تشد مشاهداً، ولا تتوغل في أعصابه.

وبكلمة مختصرة نقول: إن رسالة الفنان المسلم الذي يسعى لتغيير النمط الجاهلي السائد إلى المفهوم الإسلامي الراقي، وأنه وهو يجسد حالات البشر عبر مشاهد الدراما التي تصورهم في صور التعاسة والأناية والخيانة واللذة وهم بعيدون عن الإسلام، فإنه في المقابل لابد أن يجسد صورة المسلم الذي سرعان ما يندمج مع الدين بتعامله الصحيح مع نفسه ومجتمعه في صورة فنية بديعة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) من نماذج ما أدعو إلى قراءته كدراسة فنية درامية هادفة: روايتي (عمالقة الشمال) و(عذراء جاكرتا) للأديب الإسلامي: نجيب الكيلاني، وانظر التعليق الجميل عليهما في: «صور المرأة في الرواية الإسلامية»، د. عماد الدين خليل، ضمن كتاب: «من أدب المرأة» (١٠٥). والترجمة الراقية التي تصلح لفيلم تاريخي عن داعية العالم الإسلامي (سعيد النورسي... رجل القدر) للأخ الأستاذ: أورخان محمد علي. وبعض الترجمات التي عرض لها الأستاذ الكبير المستشار: عبدالله العقيل في كتابه الفريد: «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية في العصر الحديث»، وانظر التحليلات الفنية الراقية التي عرض لها د. جابر قميحة في كتابه: مع المستشار عبدالله العقيل في ترجماته، (٦٩).

(٢) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي (٧٠٤).

## ● الفن بين الممارسة المهنية والهواية الذاتية :

ممارسة الفن الذي لا يعترض عليه الإسلام كمهنة، يعتبر في هذا العصر من أشرف المهن، وأدعاها لكسب الأجر الوفير، لأن العصر عصر الإعلام!

واشتغال صاحب المهنة بإتقان الصنعة بحقها واجب المرحلة وأخذه من أهلها يختلف وجوبه!

أما كون أخذها بحقها، فإن ممارسة أي عمل مهني لا بد أن يكون على أعلى درجات الإتقان. وهذا هو منهج الإسلام، «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»<sup>(١)</sup>.

والمهنة كما بدأنا لا بد أن تكون شريفة لا يعترض عليها الإسلام، في أصلها، ووسائلها، ومضمونها، ونتائجها.

والأصل والمضمون والنتائج غالباً ما تكون واضحة لدى المسلم الممارس.

وإنما الخلط يكون في الوسائل من ناحية طرائق تلقيها. كأن يسافر راغب ممارسة الفن لتلقيها من شركة أوروبية غير محافظة، أو يتطلب الأمر مشاهدة أو ممارسة فنون عملية سمعية وبصرية ما كان منها ميدانياً أو تطبيقياً على وسائل البرمجة والإنتاج، لا تخلو من سوءات.

وكذلك الحال في نوعية المدربين، والمتدربين!

ويتطور السؤال عن مدى مشروعية المشاركة في المؤسسات أو

---

(١) مسند أبي يعلى (٣٤٩/٧) وحسنه غير واحد من المحدثين.

المنتجات غير الإسلامية أو المعارضة لقيم الإسلام للاستفادة من خبرتها أو لمحاولة تخفيف شرها.

والواقع والحق - في نظري - أنه ينبغي أن ننظر إلى الموضوع من زاويتين:

١ - مفهوم الشرع في أدلته ودلالته.

٢ - فقه الواقع وآلياته الذي ينسجم مع القواعد الشرعية.

فالأحكام الشرعية مع كونها مبنية على نصوص الوحيين، إلا أن هناك ما يتعلق بالقواعد والأصول الشرعية التي يراعى فيها أمر الواقع غالباً.

والم تأمل في مسرح الفن سيجد أموراً لا يمكن أن يغضَّ عنها الطرف، أو أن يسكت عن سوءاتها، في حين أنه سيجد ما يمكن أن يستفاد منه، ويسهم في تطوير العملية الفنية في مسيرة الإرشاد والسعادة والحياة الطيبة.

ولو أخذنا نتوغل في مجريات الخطط العملية، والخطوات التدريبية للعاملين في مجال الفن فإننا سنخلص إلى القواعد التالية التي روعي فيها النص الشرعي، والمفهوم العلمي، والبعد الواقعي:

١ - الأصل أن يُختار في تدريب العاملين في مجال الفن الخبراء المقتدرون المحافظون، فالرجال للرجال، والنساء للنساء، وقد يعلم للحاجة المقتدر للصنفين في حدود القيم والمسموح به شرعاً.

ويمكن الاستئناس بفتوى العلامة الشيخ محمد بن عثيمين (رحمه الله) في حكم نظر الداعية للبرامج التي فيها نساء: «وأما مشاهدة النساء فيها فإن أثارت الشهوة أو حصل بها تمتع بالنظر إليها،



فلا شك أنها محرمة. وأما إذا لم يكن ذلك فهذا محل توقف عندي، ولكن كثيراً من الإخوة يقولون: إن النظر إليها محرّم على كل حال»<sup>(١)</sup>.

٢ - يمكن الاستفادة ممن لديه معاصر ظاهرة (شكلية) أو علنية (أعمال مسرحية، تمثيليات... غير مرضية) في فترة التدريب بشرط ألا تكون في فترة التدريب برامج مخلة بالآداب العامة.

ويمكن اليوم وفي ظل مؤسسات الإنتاج اختيار أكبر الخبراء الإعلاميين وتوجيههم وتدريبهم لأي نخبة متعلمة إذا وجد المال الكافي، دون الحاجة للذهاب إليهم أو إلى بلدانهم، وتقبل كل ما يطرحونه.

٣ - في التدريب الفني (تصوير، إخراج، مسرح، مونتاج، صوتيات...) قد يحتاج المتدرب لمشاهدة تطبيقات عملية. فإذا كان الغالب عليها الموافقة للشرع، مع شيء من خدش، فإن المصلحة العليا قد تقتضي المشاركة، مع عدم السماح بالنظر إلى ما يشين. أما إذا غلب على النماذج التطبيقية مشاهدة تصرفات مخلة وخادشة للدين فلا يجوز ذلك حيثئذ.

٤ - في محيط العمل الفني للمتدربين قد يوجد بعض صور الخلل من أشكال المدربين أو المتدربين في ساحات العمل، أو أماكن التدريب، فإذا كانت قليلة يُغلب حيثئذ جانب المصلحة.

---

(١) الصحوة الإسلامية... ضوابط وتوجيهات، محمد بن عثيمين (١٣٨). وانظر تفاصيل هذه المسألة في كتابي: فقه العلاقة بين الرجل والمرأة. وانظر كذلك مبحث: العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة، ضمن كتاب: مفاهيم، للعلامة الشيخ: محمد الحسن الددو. وقد أكرمني المولى بالاعتناء به، مراجعة وطبعاً.

٥ - ينبغي التفطن لعدم الخلط بين فترة التدريب التي قد يكون فيها نوع اختلاط، أو بعض الخلل في التطبيق الصوتي أو المرئي، وبين السماح بالمجالسة والمباحثة بين الجنسين أو في أماكن التطبيق لغير حاجة، سواء الدردشة في نفس المجال أو في مجالس لا يقرها الدين الحنيف، ولا الفطرة النقية!

وأن يبذل الجهد للخروج من هذه الحالة الاستثنائية فوراً، والحرص على تحصيل الوسائل المشروعة، وإيجاد البدائل الصحيحة التي تغني عنها، كما هو تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - <sup>(١)</sup>.

٦ - ولأن بيئات التدريب مختلفة حسب المؤسسات والمجالات والتطبيقات، فإنه من الصعوبة النظر في مسألة التدريب بشيء من التبسيط، فلكل بيئة حالتها، وحكمها. ولعل من أبرز الصور القرية من هذا المفهوم حال الطلاب المبتعثين في بيئات وكليات مختلفة، فإن مما لا شك فيه أن هناك بيئات عامة يغلب خيرها على شرها، وأخرى شرها على خيرها. كما أن هناك حالات لأفراد لا ينصح فيها بالابتعاث لأن طبيعة الدراسة والبيئة والإدارة هناك أن تجذب الوافدين إلى ثقافتها؟! إن لم يكونوا سفراء لها بعد ذلك!

٧ - يحتاج كل راغب في تعلم الفنون المختلفة بشكل مبدع أن يتعلم أصول الأحكام الشرعية، حتى ينطلق على بصيرة، مع مراعاة المستجدات منها <sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية (٣٣).

(٢) انظر الرسالة القيمة: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى مخدوم، ففيها فصول مهمة تتعلق بهذا الموضوع.

٨ - يعتبر عاملاً (القدرة والإرادة) من أهم وأخطر عوامل التدريب في المجال الفني في وسط غير صحي.

فأما القدرة فهي متعلقة بشخصية المتدرب، وكفاءته في إدارة نفسه، وضبط تصرفاته، وقوته نحو السير في تحقيق الهدف.

والإرادة المتمثلة في حدود صبره، وقدرته على توظيف عقله وقلبه نحو ما يرضي وينفع.

فالمرء قد تكون له القدرة على التحمل وحسن التصرف، ولكن إرادته الداخلية قد تعيق هذا الاختيار لضعف إيماني، أو المواقبة للمحيط الذي يعيشه!

والعكس كذلك فقد تكون لدى المرء إرادة جادة، وهمة ماضية، ولكنها لا تتوج بقدرة على التحمل، والصبر على الموقف<sup>(١)</sup>!

وحينها يبلغ الفصام الثقافي ذروته عندما يقرر المخرج وجيه أحمد في ما يشبه الاعتراف: «أحياناً أشعر بأنني أودُّ لو أنني لا أفعل ما أفعله... فأنا غير سعيد من الناحية الدينية لأنني أركز في المونتاج على أكثر الأجزاء إثارة في جسد العارضات. لكنني كنت أريد أن يكون لي عمل ودخل جيد... ولذلك أنا وجماعة من زملائي المخرجين جلسنا في مقرئة قرآن مع أحد الشيوخ ربما لإحساسنا بأن أموالنا لم تأت من مصدر حلال بالكامل»<sup>(٢)</sup>.

ولا نجد تعقيباً على مثل هذه الحالات إلا ما قاله الإمام ابن

---

(١) انظر الرسالة القيمة: العمل قدرة وإرادة، للأستاذ: جودت سعيد.

(٢) الصورة والجسد، د. محمد حسام الدين إسماعيل (٢٤).

القيم - رحمه الله - عن مستمع الغناء، والمنشغل به «فإذا استمع الغناء ومال إليه، نقص عقله، وقل حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلي عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانه، وثقل عليه قرآنه، وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد»<sup>(١)</sup>.

أو ما قاله شيخ الإمام ابن القيم، الإمام الأجل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وما يفسده اللسان من الأديان، أضعاف ما تفسده اليد»!<sup>(٢)</sup>.

### ● الفن والحضارة:

الفن جزء من الحضارة، فما الحضارة؟

الحضارة عندي هي توجيه المبادئ، وتحريك القيم، واستخدام العقول، واستثمار العاطفة، لهندسة الحياة، وصناعة الإنسان، قيمةً، وسلوكاً، ووجداناً.

والفن كلون من ألوان النشاط الإنساني يمثل جزءاً من هذه الحضارة. فعندما يعبر الفن بشتى صوره عن طبيعة الحياة من خلال نبض المجتمع فإنه يتوغل إلى الشعور، ويدعو إلى الانتماء اللاشعوري!

---

(١) إغاثة اللفهان، ابن القيم (٤٤٦/١). وانظر جملة من توجيهات السلف حول مسائل السماع، لا يخلو بعضها من تجاوزات كما في: السيف اليماني على من أباح الأغاني، محمد الإمام.

(٢) الصارم المسلول، ابن تيمية (٧٣٥/٢)، وانظر حول هذا المعنى الرسالة القيمة الذائعة النشر «حراسة الفضيلة»، التي بيع منها أكثر من (٥٠٠,٠٠٠) نسخة في ثلاثة أشهر، للعلامة بكر أبو زيد - رحمه الله - .

وقد لفت المفكر المتقدم (د. قسطنطين زريق) إلى معنى دقيق في ارتباط الإنسان بالحضارة والفن، واستمتاعه بالحياة الجمالية، كما وجد في العصور الحجرية الأولى من أدوات يغلب عليها الصنع الفني على النفع العملي!<sup>(١)</sup>.

بمعنى آخر، إن الفن يصور مفهوم الحياة ونظرة الناس له، ويجسد الصورة الشعورية (المشاعر)، ويخرج المخبوء في النفوس في استصلاح غير مباشر.

ولذا فإن الفن ممتزج في هوية الحضارة!

حتى أن من أشهر المفكرين الغربيين (تايلور) قد لخص الحضارة بهذا العمق فقال أنها: «الكل المركب من الفنون والأخلاق والقوانين والتقاليد والمعارف والعقائد»<sup>(٢)</sup>.

وبالتالي فإننا سنفهم الفن في ظل المنظومة الحضارية التي تعني الأخلاق والقوانين والتقاليد والمعارف والعقائد، التي تجعل الإنسان خيراً حراً، أو كما عبر عنه الفيلسوف «هيجل»: الوعي بالذات.

فليس هو عبداً للسوق، منتزعاً من جوهر قيمته وتصوارته ومبادئه وعواطفه، بل هو حر وواعٍ، يتحرك بحريته الواعية نحو التطور<sup>(٣)</sup>.

وفي ظل لغة العولمة اليوم نحن بحاجة إلى (الترابط الحضاري)

---

(١) الأعمال الفكرية العامة، د. قسطنطين زريق (٢/٨٠)، من كتابه (في معركة الحضارة).

(٢) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. مصدق حسن (١٧).

(٣) انظر الكتاب القيم: فلسفة القانون والسياسة عند هيجل، د. عبدالرحمن بدوي (١٠٢).

عن طريق متاحف الفن الإسلامي التي يمثل الموجود منها شيئاً نسبياً مما ندعو إليه، وهي أحد أوجه التأثير في العالم الغربي، إذ أنشأنا هذه المتاحف هنالك.

وأنا أقسم أن زيارة تواصلية لأسبانيا هي لوحدها كافية في البعد الحضاري المنشود لأنه متحف إسلامي كامل في كل مدنها إلى اليوم!! والالتفات إلى معارض ومتاحف الفن الإسلامي منهج عصري في التواصل، والتأثير على الرؤى حول الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويوم يعي دعاة الإسلام وأبناء الإصلاح أثر الفن في تشكيل الحضارة، فإننا نتوقع كسب ثمرتين مهمتين:

أولاهما: أن الحالة الفنية السائدة هي تجسيد واقعي لحال المجتمع في الأعم الأغلب أو بتعبير آخر: هو انعكاس لحالة المجتمع وثقافته، ومن هنا سنفهم أن الفن باب يجب استثماره بلغة العصر وروح العصر للتأثير على قرارات الناس وتصوراتهم.

ثانيهما: أن الفن بارتباطه بالحضارة يعمق جذور الانتماء الفطري لعمارة الحياة والبعد عن تبيسها وتحويلها لفكر هادم!

والفن في ظل الحضارة يسهم في إرواء الفراغ العاطفي الفطري في النفوس المؤمنة، فيكون بهذا التجلي منبعاً للتراحيم والتعاش.

بل إن حسَّ المؤمن وتصوره للحياة يضيف بفنه الصورة الصحيحة

---

(١) انظر: بحث «الفن الإسلامي من خلال مجموعات متاحف الفن الإسلامي» فاروق عسكر، من محاضرات الموسم الثقافي السادس عشر (٢٠٠٠م)، (ص: ٢٣٥).

للحضارة التي تعتمد على وجود نموذج إنساني يؤمن بحضارته الإسلامية، ويكون جزءاً من الشهود الحضاري!

ومتى فقد المصلحون لذة الانتماء الحضاري بكافة مكوناته، انتقل الانتماء الفطري إلى عبودية (الأنا) الممثلة في شخصية الأفراد بعنادهم، والأحزاب بصراعاتها، فيتراشق حينها القنابل الصوتية الموقوتة، وتعشعش أفكار التوتر والتشظي، وتسكن النفس حالات الاستسلام والفوضى، فتكسر حينها زهور الحياة ويحل بدلاً عنها الخراب، وتكسر النفوس لتظهر رايات الشيطان، وترفرق رايات أعداء الإسلام، وتهاجر العصافير المسبحة من الأرض المحتلة بالفكر الخرب والهوى المتبع والشح المطاع إلى أرض أخرى ليقوم الفنانون هناك برسم صورة السرب المهاجر من جديد!!

### ● الفن والجمال:

وهنا لبُّ القصيد!

إن غاية الفن الوصول إلى الجمال، فما الجمال؟! (١).

لئن كانت هناك عشرات التعاريف عن الجمال، بل وصفه كعلم يبحث عن الجميل في الخلق والخلق والمُشاعر، إلا أن الجمال في الحقيقة «فوق التعريف، وفوق الحدود، يتمتع تمنع المحبين على أن «يحد» أو توضع عليه متاريس تحده وتمنعه من أن يتجاوزها، فهو بهذا

---

(١) انظر الرسالة المختصرة القيمة: «ما الجمال؟» للأستاذ: أورهان محمد علي، و«نظرة المسلم للجمال مقارنة بالنظرة الغربية في الفن التشكيلي والمعماري»، د. عماد الدين خليل (٦)، و«في الجمال» من وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات (٢/١).

المعنى غير قابل للتعريف، فالأفضل أن نقول: «أن الجمال هو الجمال» حتى ولو فسرنا الماء بالماء، فذلك اعتراف بالجهل عن تعريفه، خير من محاولة فاشلة لحده»<sup>(١)</sup>!

### أولاً: الجمال في الفلسفة الغربية:

إنه منذ آلاف السنين، والشعراء والأدباء والفنانون، وأصحاب الحس المرهف، يتغنّون بالجمال، وينبهرون به، ويحاولون التعبير عنه، وعن أحاسيسهم ومشاعرهم تجاهه، فلا يملّون ولا يسأمون ولا يكتفون، إذ لا تزال في قلوبهم المترعة بنشوة الجمال أشياء وأشياء، تحاول الإفصاح عنها.

وتعد حاستا البصر والسمع أهم حاستين تنقلان إلينا صور الجمال، والجمال أنواع، فمنه الهادي كصوت البلبل، ومنه الرقيق كمياء الجداول، ومنه المهيّب كصوت الأذان. كما أن الجمال درجات كتشوع الألوان والأنوار.

وكلما ارتقى الإنسان زادت قابليته لتذوق الجمال. وعاشق الجمال كشارب الماء، كلما شرب منه ازداد عطشاً!

يا نسيم الروح قولي للرشا      لم يزدني الوزد إلا عطشا  
لي حبيب حبه وسط الحشا      إن يشأ يمشي على خدي مشى

وما بثه الخالق الجميل في أرجاء الكون من أنواع الجمال آيات تدل على عظمته وقدرته، وما ذكره في كتابه عن النجوم المتألقات،

---

(١) أحمد فال بن الدين، من مقالة له في مجلة العربي، عدد (٥٨٦)، نقلاً عن العمارة الدعوية، للراشد (٤١).



والنباتات الخضراء، والجنان من أعناب ونخيل وزيتون ورماني، وما  
ركّبه في الإنسان من صور فأحسن خلقه، آيات للناظرين، لعلهم  
يتفكرون!

وما زينة الألوان والأشكال في الطيور والفراشات، إنما هو  
للجمال لا للتكاثر! وما أشكال الحقائق الغناء والجداول الساحرة،  
وأصوات العصفائر الرقيقة، إلا للجمال المركوز في طبيعة هذا الوجود،  
وفي خميرته.

وسر الجمال في سر موجدّه!

ولأن الله جميل يحب الجمال، انقاد المؤمن ضرورة للجمال!  
والفن في حسّ المؤمن وفي ظلال انتمائه الحضاري يعيش  
الجمال وينعم بالجميل!<sup>(١)</sup>

يقول عالم الأحياء «أدولف برتمان Adolf Portman» وهو الحجة  
في أبحاث أشكال الكائنات الحية: إن هناك سمات كثيرة لهذه الكائنات  
لا تفسرها الضرورة! وهو يشير بهذا المعنى إلى أن الأوراق ضرورية  
للشجرة لإنتاج طعامها، ولكن هناك الشيء الكثير في شكل الورقة  
وخطوطها مما ليس تكييفاً مع البيئة، بل هو تصور ذاتي.

والشيء نفسه يتعلق بريش الطيور، إذ يقول برتمان أنه: ساد  
الاعتقاد مدة طويلة من الزمن، أن الريش ليس له دور، سوى تيسير  
عمليات تعديل الحرارة والطيّان، ولكن علينا أن نضيف دوراً ثالثاً،  
وهو التعبير عن الذات، لأن هناك أصنافاً كثيرة من الريش، تغلب

---

(١) انظر: التذوق الفني، د. سلوى محمد حسن (١٣).

الزخرفة على تركيبه الخارجي!<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن فلسفة الجمال أخذت بعداً تاريخياً وصار علماً مستقلاً  
«علم الجمال Aesthetice»، حتى أنهم حين أرادوا أن يعرفوا هذا العلم  
قالوا: إن هناك تعاريف بعدد الناس الذين عاشوا في هذا العالم!  
ومع هذا فإن ثمة رؤية حول هذا الموضوع عند كبار الفلاسفة،  
ومن ذلك:

قول سقراط: إن الجمال مرادف للمفيد والممتع.

ويقول أفلاطون: إن الجمال شيء إلهي!

ويقول أرسطو: إن الجمال الموجود في الطبيعة بوفرة دليل على  
وجود إله بارع الصنعة!

أما الفيلسوف الإيطالي «بنوتو كروتشه» (١٨٦٦ - ١٩٥٢م)، أحد  
أشهر الباحثين في علم الجمال، فقد بيّن في كتابه «فلسفة الروح»،  
وكذلك في المقالة التي كتبها في دائرة المعارف البريطانية بعنوان «علم  
الجمال»: أن الفن هو الذي يعبر عن الجمال.

وهو يرى أن أصل الفن هو القدرة على تكوين الصورة الذهنية،  
ولكون الخيال يسبق الفكر وهو شرط ضروري له، كانت الفاعلية الفنية  
- أي القدرة على تكوين الصورة الذهنية - أسبق من الفاعلية المنطقية  
لدى الإنسان. وهو بهذا يؤكد قول «ميخائيل أنجيلو»: إن الإنسان لا  
يصور بيديه بل برأسه (يقصد بخياله)!

---

(١) انظر: العالم في منظوره الجديد، Robert Maugros و Georgen Stanu (٧١).

فالفن إذن في نظر «كروتشه» هو عرض الشعور الجمالي مجسماً في صورة ذهنية وهذا الشعور الجمالي إنما هو ناتج عن حواسنا، لأن في حواسنا، ولا سيما حاستي السمع والبصر أليافاً بها نشعر باللذة، إذ سمعنا بعض الأوصاف، أو رأينا بعض المناظر، وصور الجمال، كما يقول دكتور الفلسفة الشهير «رابوبرت».

وبقي أمر مهم يتعلق بارتباط الفن الذي هو الصورة الجمالية بالقيم والأخلاق، «فالفن يجب أن يخضع للأخلاق» كما يقول «أرسطو».

«وإن أهم ما يجب على الفنان أن يشرك الناس معه في عواطفه الشريفة» كما هو تعبير «رسكن»<sup>(١)</sup>.

وهذا الجمال لا يمكن أن يتجلى في صورة الفن إلا بالمحافظة على معايير الكبري، وهي:

١ - البساطة: وهي بتعبير «روجو بنروز R. ger penrose»: الأناقة، والسهولة، والكمال.

٢ - التناسق: وهو الانسجام الداخلي بين الأجزاء.

٣ - الروعة: وهي الدهشة، ووضوح ذاتيتها.

وقد وصل علم الجمال إلى نظرة عبر عنها الراوي «سنو Snow» بقوله: أن كل من اشتغل في أي وقت من الأوقات بعلم، يعرف مدى ما حصل عليه من لذة جمالية.

وإذا أردنا أن نعرف مدى أهمية الجمال في حقل الفلسفة عند

---

(١) مبادئ الفلسفة، رابوبرت (٤٩).

الغربيين فلنقرأ ما قاله العلمان الكبيران Robert Maugros و Georgen Staniu حول النظرة الجديدة للعلم:

«إن وجود الجمال بهذه الوفرة في أرجاء الكون، ولا سيما في أرضنا هذه من أهم البراهين والدلائل على وجود الله، لأن العلم، ولا سيما علم الرياضيات، لا يستطيع قبول ظهور كل هذا الجمال، عن طريق المصادفة»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نخلص هنا إلى النظرة الفلسفية لمفهوم الفن والجمال:

- ١ - أصالة الارتباط التاريخي بين الفن والجمال.
- ٢ - العلاقة البشرية الكونية - إن صح التعبير - التي جعلت حاستي السمع والبصر تنقلان الصور الجمالية عبر الكون للذات.
- ٣ - انقياد الإنسان بفطرته للجمال ضرورة، فما الألوان والأشكال في الكائنات الحية إلا للجمال لا للتكاثر!
- ٤ - سر الجمال في سر موجدته.
- ٥ - أن الفن هو الذي يعبر عن الجمال، لأن الفن هو القدرة على تكوين الصورة الذهنية عنه.
- ٦ - أن الشعور الجمالي ناتج عن طبيعة الخلقة البشرية التي جعلت في السمع والبصر أليافاً للشعور باللذة.
- ٧ - أن الفن خاضع للأخلاق، ويشترك مع العواطف الشريفة للفنانين.

---

(١) انظر: العلم في منظوره الجديد. فصل (الله).

٨ - أن معايير الجمال: البساطة، والتناسق، والروعة.

وفي نظرة فلسفية قيمة أفرد الفيلسوف الأمريكي (رالف بارتن بيري) في كتابه (آفاق القيمة) الفصل الثامن عشر عن (الفن وعلم الجمال)، حيث فرق بين «الفنون الجميلة» و«الفنون النافعة».

فالفن النافع كالبيت الذي يتخذه الإنسان مأوىً يحوي أهم الاحتياجات للعيش الكريم، بينما الفن الجميل هو البناء الجمالي في البيت من زخرفة ولوحات ومناظر تشبع الحاسة الفنية.

ويؤكد (بيري) على أن كلتا النظرتين الفيتيتين لا يمكن الاستغناء عنهما، وأن التحسين المستمر للحاسة الجمالية والاستمتاع فحسب يجعل منه هواية أو شغلاً أو لهواً!

وفي قيمة أصيلة أخرى يقرر (بيري) أن الاهتمام الجمالي نشاط تأملي، كما أنه لا يوجد اهتمام جمالي لا يؤثر على الإدراك.

ووصف هذه القيمة بحال رجل يجلس على جانب التل في الصيف المبكر مستمتعاً بصوت الطيور، ومنظر المراعي الخضراء، وشكل التلال تداعب الأشجار والثمار.

هذه الصورة تماماً تجلي العلاقة بين الجانب الإدراكي والجمالي للفن، وما ينبغي أن يكون بينهما من علاقة نافعة أو مفيدة على حد تعبير (بيري)<sup>(١)</sup>.

والنمو الجمالي إنما يرتبط بالحس؛ لذا فإن غرس القيم الفنية الجمالية في نفس الطفل الصغير يقوم بدور إدراكي فعّال يتكامل فيه

---

(١) آفاق القيمة، رالف بيري (٤٣٥).

البناء العقلي والنفسي من فوق الخيال والتأمل، الذي يحيله إلى تصور مفهوم بديع، وفي صورة جمالية إدراكية لطفل يتأمل، نجد هذا الجمال الفني، وهو ينادي زورقه الورقي في خضم النهر:

أيها النهر لا تسر وانتظرني لأتبعك  
أنا أخبرت والدي أنني ذاهب معك  
فانتظرني لأتبعك

أنا أحضرت مركبي هو يا نهر من ورق  
ادن يا نهر إنني لست أخشى من الفرق  
وانتظرني لأتبعك

ظهر النهر هادئاً ورأى الطفل أوله  
فرسى المركب الذي في يديه وقال: له  
انتظرني لأتبعك

فجرى النهر مسرعاً ومضى ثم لم يعد  
صرخ الطفل قائلاً بعدما المركب ابتعد  
ليتني ليتني معك!

والجمال في الفن إنما يدل على الجميل، «والجميل في إجماع الناس هو ما ينشأ في الذهن فكرة سامية عن الشيء في الطبيعة أو عن الموضوع في الفن فيبعث في نفسك عاطفة الإعجاب به»<sup>(١)</sup>.

والفن الجميل فضيلة، والفضيلة كما يقول «أرسطو» في كتابه الأخلاق: منها (فكرية) تكتسب بالتعلم، و(خُلُقِيَّة) تكتسب بالعادة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) فصل في الجمال، من: «وحي الرسالة»، أحمد حسن الزيات (٢/١).

(٢) انظر: الأخلاق، أرسطو (٨٥).

ومن هنا فإن أبناء هذا الجيل والمتدينين منهم عليهم أن يفرقوا بين الفضيلة الفكرية والخلقية التي هي مدار مشكلاتهم!

وأرباب الإصلاح عليهم أن يكشفوا دورهم التعليمي للراقي بالجيل في دوائر الفضيلة وتنحي مجالسهم عن الغيبة والبهتان والجهل، وفي المقابل أن يغرسوا في ميادين الفضيلة الخلقية، وأن توضع بين أيديهم نماذج الفضيلة الخلقية ليقننوا أو يتأملوا!

### ثانياً: عن الجمال في الفلسفة الإسلامية:

وبعد هذه النظرة الأولية الفلسفية لمفهوم الفن والجمال، تتجلى الصورة المشرقة للمؤمن، عن إنسانية الفن الإسلامي أو فلسفة الإسلام للفن والجمال، وتتأصل بعمق، وتتجذر بحب، وهو يطالع سيرة النبي ﷺ الذي هضمت سيرته في هذا الجانب، وترك فصلاً معزولاً، لا ضمن سياق حياته المتكاملة، التي ترتبط أجزاؤها بعضها ببعض، في فهم شامل للدين، وتوظيف طبيعي عفوي متجانس مع كليات الدين ومقاصده.

ويقف المرء المؤمن مشدوهاً في مجتمعه، وحسيراً في الوقت ذاته على غياب هذا الجانب من الحياة النبوية عن الغرب.

فأي تعبير فني جميل يمكن أن يصف موقف النبي ﷺ مع امرأة كتبت له دون أن تشدو بين يديه بقصيدتها، وهي قتيلة بنت النضر بن الحارث، وذلك بعد منصرف النبي ﷺ من بدر، وقبل إسلامها؟ وفيها:

يا راكباً إنَّ الأثيلَ مَظِنَّةٌ      من صبحِ خامسةٍ وأنتَ مُوقِفُ  
أبلغُ به مِيتاً بأنَّ تحيةً      ما إنْ تَزَالَ بها النِّجائبُ تُخَفِّقُ

مَنِّي إِلَيْهِ وَعِبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ      جَادَتْ بِوَإِكْفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ  
 هَلْ يَسْمَعُنُ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ      بَلْ كَيْفَ تُسْمَعُ مَيْتاً لَا يَنْطِقُ  
 ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ      لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقُّقُ  
 صَبْرًا يُقَادَ إِلَى الْمَنِيِّ مُتَعَبًا      رَسَفَ الْمَقِيدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثِقُ  
 أَمَحْمَدٌ وَلَدَتِكَ ضِئْنُ نَجِيْبَةٍ      مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ  
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا      مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُخْنَقُ  
 فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً      وَأَحْقَهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى أخضلت الدموع لحيته،  
 وقال:

«لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوتُ عنه!»<sup>(١)</sup>.

وماذا يمكن أن نعبر عن موقف النبي ﷺ مع أنجشة الذي حرّك  
 اليهودج، وكادت زوجات النبي ﷺ الشريفات أن يسقطن في رحلة  
 الحج؟ ومع هذا لم يسكته وهو رجل، والنساء قوارير! وإنما قال:  
 «رفقاً بالقوارير يا أنجشة!»<sup>(٢)</sup>.

وماذا عن موقفه الرائع ﷺ مع عامر بن الأكوع الذي حرّك الإبل  
 وهيجهما فرقصت من حدائه الجميل؟ مما حدا بالنبي ﷺ أن يسأل عنه  
 ويدعو له!: «من هذا غفر الله له؟».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ألا أمتعتنا به؟<sup>(٣)</sup>.

وقد رزق الله عامراً الشهادة ببركة دعاء النبي ﷺ.

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر (٩٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٨١١/٤).

(٣) رواه ابن حبان بسند صحيح (٢٣٢/٩).



وماذا نقول عن اختياره الذوقي لجميل الصوت في واجب بلاغ الصلاة؟ حتى اختار لها أبا محذورة، ووصفه بأنه «إنسان حسن الصوت» وأمره أن يؤذن عند البيت الحرام؟! (١).

ألا يكفي أن نلقي ولو نظرة على جوانب حياته المختلفة ﷺ في المدينة مهاجراً، وفي منى حاجاً، وبعد الغزوات منتصراً، وفي مسجده مع أهله مستبشراً، لنرى في هذا التنوع على اختلاف الأحوال والظروف تعبيراً واضحاً عن التصور النبوي للفن؟! وكونه لوناً من ألوان النشاط الإنساني، المؤطر بأطر الإسلام المهدّب المنظم الذي أعطى كل شيء حقه (٢).

ولذا لا غرو أن نجد رجلاً كعمر بن الخطاب رضي الله عنه يأذن بالسماع بصورة فنية راقية في رحلة الحج، عندما غنى الركبان في مسيرهم، وسمع لهم! (٣).

وسمع عمر رضي الله عنه أن رجلاً ينشد شعراً بعد الصلاة فذهب إليه منكراً عليه واستغرب الرجل مجيء عمر، فقال له عمر: إنني سمعت شيئاً أريد التأكد منه، فإن كان حسناً قلتك معك، وإن كان قبيحاً نهيتك عنه. فأنشده الرجل قائلاً:

---

(١) انظر: النسائي برقم: (٣٣٦) وهو حديث حسن.

(٢) انظر بعض التفصيلات في الأخبار النبوية في كتابي «النشيد الإسلامي المعاصر نشأته ووظيفته... أحكامه وضوابطه».

(٣) أخرجه البيهقي (٦٨/١٠) بسند حسن. وانظر المزيد من الأخبار في التمهيد لابن عبد البر، (٢٢٤/٢٢)، والمصنف لابن أبي شيبه في مواقف كثيرة للصحابة.

وفؤاد كلما نبهته      في مدى الهجران يبغني تعبي  
لا أراه الدهر إلا لاهياً      في تماديه فقد برّح بي  
يا قرين السوء ما هذا الصبا      فني العمر كذا باللعب  
وشباب بان مني فمضى      قبل أن أقضي منه مأربي  
ما أرجي بعده إلا الفنا      ضيق الشيب عليّ مطلبي  
ويح نفسي لا أراها أبداً      في جميل ولا في أدب  
نفسي لا كنت ولا كان الهوى      راقبي المولى وخافي وارهبي

فقال عمر رضي الله عنه: نعم، نفسي لا كنت ولا كان الهوى  
راقبي المولى وخافي وارهبي، وشرع يردده ويبيكي، ثم قال: من كان  
مغنياً فليغنْ هكذا<sup>(١)</sup>.

ولا غرو بعدئذ كذلك أن نجد فقهاء الأمة الأكابر، الذين هذب  
الإسلام طباعهم، ورقق مشاعرهم، يهزهم طرباً الفن الجميل، وحتى  
وهم في مجالس الدرس! كما حصل لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي  
عند مذاكرته أمام طلابه مسألة في كتاب «إحياء علوم الدين» فتذكر أبياتاً  
أنشدها:

وحبب أوطان الرجال إليهم      مآرب قضّاهم الفؤاد هنالك  
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم      عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

فبكى وأبكى!

وتلك الأبيات التي جعلت إمام التابعين القدوة سعيد بن المسيب  
يضرّب برجله الأرض عند سماعها، وهو يقول: هذا والله يلذّ سماعه!  
وفيهما:

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣١٢/٤٤).

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ  
لَهَا أَرْجٌ مِنْ مَجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعٌ  
يَخْبِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى  
وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَّعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا  
وَقَامَتْ تَرَانِي يَوْمَ جَمْعٍ فَأَفْتَنَتْ  
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ  
بِهِ زَيْنَبٌ فِي نَسْوَةٍ خَفِرَاتٍ  
تَطْلُعُ رِيَّاهُ مِنَ الْكَفِرَاتِ  
وَيُخْرِجُنِ جُنْحَ اللَّيْلِ مُغْتَجِرَاتٍ  
وَأَبَدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ بِالْجَمَرَاتِ  
بِرُؤْيَيْهَا مِنْ رَاحٍ مِنْ عُرْفَاتٍ  
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ خَدَرَاتٍ<sup>(١)</sup>

وهذه الفلسفة الإسلامية الأصيلة المتقاربة من عموم الفلسفة الغربية الواعية، تدل على أن من مارس الفن ولو تصوراً رقى طبعه، وجاد فكره، وتألق فهمه، وتوسَّط فقهه!

والفنان (صاحب الرسالة) إنما يشد بفنه وجذبه النابع من خياله واختراعاته الناس نحو الحب الراقي، والنبيل الإنساني.

الحُبُّ فِي الْأَرْضِ بَعْضٌ مِنْ تَخِيلِنَا      لَوْ لَمْ نَجِدْهُ عَلَيْهَا لِاخْتِرَعْنَاهُ!<sup>(٢)</sup>

### ● فِي سَاحَةِ الْفَنِّ الْيَوْمَ:

ويوم نؤمن بأن هناك تيارات في الأمة تحمل رسالة فصل الدين عن الدولة، والمادة عن المبدأ، والقيمة الفنية عن الرسالة الإسلامية، سندرك الحجم الهائل في تطور الفن بتلك المفاهيم المغبَّشة، وتغلغلها في كل ساحات التأثير العام والخاص، وأنها لم تعد تحترم الكبير لكبره، ولا الصغير لصغره.

(١) المختار من طبقات الشافعية، (٢٨٨). وانظر بعضاً مما كتب في هذا المعنى: من غزل الفقهاء، للشيخ علي الطنطاوي، وأدب الفقهاء، للشيخ عبدالله كنون - رحمهما الله - .

(٢) البيت لنزار قباني.

والأخطر من هذا كله أنها تحمل التصورات والعقائد التي تبني عليها فهم الحياة والتعامل معها!

ففي المسرحية العالمية الشهيرة (هنري الرابع) المترجمة للعربية، يصور لنا الكاتب شاباً خرج مع أصدقائه في موكب فروسية بملابس تنكرية، فسقط عن حصانه إثر لكزة شديدة من صاحب له كان ينافسه على حب فتاة شابة، فأصيب بنوع من الجنون جعله يتوهم أنه الإمبراطور (هنري الرابع) الذي كان يتنكر في ثيابه، ولما شُفي بعد مرض طويل آثر أن يبقى على وهمه ويعيش في عالم الخيال، فراراً من الواقع المليء بالمآسي والمفارقات والمهازل.

واتخذ من الخيال عالمه الحقيقي حتى اكتشف أن شبابه قد ولى وأن أصدقاءه قد خانوا العهد وأن حبيبته قد تحوّل حبها إلى غيره، وظل هكذا لا يميز بين ذاته وبين الوهم المسيطر عليه، فعاش سعيداً بأوهامه، هائئاً بالمصير الذي ارتضاه لنفسه.

ولكن هنري - المجنون - أو الذي اصطنع الجنون قرر اغتيال غريمه في الحب، لأنه لم يطق أن يعيش عالم الخيال ولو كان مجنوناً!

إن هذه المسرحية الغربية التي يترجمها الإعلام العربي، بل ويؤديها الفنانون العرب على مسارحهم تمثل حالة التشطي والثنائية القاسية بين الفكر والعمل، بين الخيال والواقع، بين الظاهر والباطن، بين القناع والوجه!

الحياة المتناقضة تحوّل الفن أو الدراما إلى مأساة الإنسان وصراعه مع نفسه الذي لا ينتهي، كل مراحل التناقض والغربة والشذوذ، وأن الحياة تهدده كل حين.

إنها تمثل حالات النحس والشقاء والطغيان طالما أن هذا الإنسان يعيش حياة المادة والسرعة والاختزال.

لكنَّ المسلم الفنان الذي يسعى أن يكون سيِّداً في الكون لا سيِّداً له، ويؤمن أن الكون مسخَّر بأمر الله لا بأمر ذاته ولا وفق أهوائه، وأنه يستمد قواعد فنه من القيم الإيمانية والأخلاقية والثقافية والجمالية التي صوّرها الإسلام. هذا المسلم يؤمن أنه مستخلف في الأرض للإصلاح وتخفيف الفساد. والاستخلاف قائم على الإيمان والعمل الصالح والإبداع في المسلك، والتوازن في العطاء<sup>(١)</sup>.

ولقد أجاد د. عبدالوهاب المسيري (رحمه الله) وصف المجتمع الغربي في نظريته للفن عبر عدة قصص واقعية مثيرة حدثت معه، مما شكلت عنده رؤية حول نظره للحياة<sup>(٢)</sup>!

ولو استطاع الإنسان «أن يشمل بنظراته الأمس واليوم والغد، وأن يتتبع حادثاً واحداً أو رجلاً بعينه، لرأى العجب!!... يأتي المال من العدم ويذهب المال في العدم، ويولد من السعد نحس ومن النحس سعد! ساقية لا تكف عن الدوران. ليس هناك في حقيقة الأمر حظ زاهر ولا عاثر، لأن الساقية الدوارة لا تبقي أحداً في موضعه ولا شيئاً في مكانه! إن ما نسميه (الحظ) ليس إلا وقوف نظرنا المحدود على وضع من الأوضاع في وقت من الأوقات، وإن فرحنا أو بكاءنا لهذا

---

(١) انظر: فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر، د. عماد الدين خليل (١٩).  
مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل (٢١).

(٢) انظر موضوع «الفردية والنسبية» في كتاب: رحلتي الفكرية، د. عبدالوهاب المسيري (١٨٥ - ٢٠٤).

الحظ ليس سوى قلة صبرنا على انتظار البقية. شأننا في ذلك شأن المشاهد لقصة تمثيلية! إنه يضحك ويبكي لكل ما يصيب البطل، دون أن ينتظر ختام الرواية... لعل أداة الشعور والإدراك فينا، قد جعلت إلى هذا التركيب المناسب لحياتنا القصيرة، فنحن نأخذ كل حادث يمر على أنه البداية والنهاية، لا أنه الحلقة في سلسلة طويلة... إن الإنسان الذي أعطي الحكمة، ليس في حقيقة الأمر إلا ذلك الذي أعطي العين التي ترى الأشياء في جملتها لا في شيء منها، وفي تعاقبها لا في وقوفها، وتبصر الساقية في دورانها... هي التي ترى الحقيقة الكاملة!!<sup>(١)</sup>.

ولقد أبدع (ألكسندر إليوت) في كتابه آفاق الفن الذي وصف الفنّ بالمدينة ذات الأبعاد المختلفة، وأنه «ما من أحد إلا وسيزورها يوماً. فمعظم الناس يجولون فيها جولة خاطفة، وبعضهم يؤثر التمعن والتعمق في شارعين أو ثلاثة فيها، ويبدو أن الطريق إلى التمتع بمدينة الفن متعة كاملة هو النزول من غرفة منها والبقاء فيها شيئاً من الزمن. وبذا يقف المرء عند النافذة العليا، روحاً حرة وحيدة تتأمل العصور كلها وأروع ما صنعت البشرية فيها!»<sup>(٢)</sup>.

الفن في ساحة الإعلام ليس ترويجاً فحسب لطرف ضاحكة، أو أفلام مائعة، أو أنغام ساحرة... بل هو إعادة صناعة للإنسان وسلوكه وفق تصورات وتوجيهات أصحابها.

إن فطرة النفس التي يفسدها الغشاشون الماكرون لا بد أن توقظها

---

(١) فن الأدب (٨١).

(٢) آفاق الفن، ألكسندر إليوت (٧).

وتحييها روائع الإعلاميين والفنانين أصحاب الرسالة.

إن معهم الإسلام الذي فتح لهم كل الأبواب ليلجوا من خلالها قلوب الناس وينفذوا إلى ساحاتهم مبلغين...

كل ساحات الدنيا لهم حلال، قولاً واحداً<sup>(١)</sup>!

ألم يقل رباعي المسلم لرستم الكافر: «إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

أولست سعة الدنيا هي التي ندعو إليها؟!

وقد بقي هناك واجب عملي لابد أن يقود مسيرته دعاة الإسلام، ويتقدمهم الإعلاميون المهرة منهم، لنشر حضارة الإسلام في الفن والعمارة التي تنبئ عن القيم والأخلاقيات الإسلامية الراقية عبر البرامج الإعلامية والرحلات الجماعية والمعارض الإبداعية والمسابقات الدولية.

إنَّ هذا الباب ليس مجرد عرض لحضارتنا فحسب، بل هو للانتظام النفسي والسلوكي المأمول من المسلم.

وكم يكون الحزن شديداً عندما يتحرك رجال غربيون، ليفككوا ويحللوا روائع حضارتنا، ويخرجوا من هذه الدراسة العملية المليئة بالعبر بمزيد قناعة، وروح مشرقة نحو الإسلام، في حين يتأخر مَنْ هم

---

(١) انظر التوجيهات الجميلة النافعة للمسلم الرسالي والفنان المسلم في كل من: قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، محمد قطب (١٦٥). مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل (٢٤٠)، موسوعة الحضارة الإسلامية (١٠٣).

في حُسن الحضارة الإسلامية عن التأمل والتذكر<sup>(١)</sup>!

وإنني لأتمنى أن تحل الروح الجمالية الصافية في حياتنا، وأن لا نشقى بالنزعة التي تغلب فيها الكثرة الشجاعة، فنجد في بيئات التسامح والروح الشفيفة، وفي أخرى اليبوسة وطول العتاب<sup>(٢)</sup>!

إن الفن عندنا حق وحقيقة. فحقيقة إسلامنا المرح والفرح والابتهاج، والرياضة واللهو البريء، والمشاركة الاجتماعية، وسعادة البشرية، وتعليم الإنسانية.

وهو الحق لتبصير الناس بقضايانا، وهمومنا، ومقدساتنا، ورؤانا، وعدلنا، وسماحتنا.

وإدارة الصراع اليوم بيد الإعلام وأرباب الفن...

أفلا ندخل دائرة الصراع بالحق؟ فإن الحق حين ينتصر تتغير حياة الناس من أعماقها.



---

(١) انظر: سلسلة في الميزان، غوستاف لوبون، د. شوقي أبو خليل.

(٢) انظر: أثر النزعة الجماعية في الفقه الإسلامي، د. نورة دري (٢٢٨).



## بعض الخلاصات والفوائد من ثنايا البحث

- الفن هو تعبير الإنسان عن الكون والحياة والإنسان، وعند المسلم يجب أن يكون الفن متماشياً مع التصور الإسلامي الجميل.
- هناك تشويه وتشويش حول مصطلح الفن، قاده أرباب الهوى، والمنتفعون، أثر على تشكيل هوية المسلم.
- اتفق العلماء حول بعض مسائل الفن، واختلفوا في كثير منها، ولعل من أبرز الاجتهادات والنظرات في فهم الأحاديث بعد جمعها: جواز رسم الصورة كاملة لذوات الأرواح، إن لم يكن مشغلاً عن الطاعة والخير، وهذا ما مال إليه الحافظ ابن حجر وغيره. ومثلها المجسمات كما نقل الإمام ابن كثير في تفسيره. ومن القضايا المعاصرة جواز تمثيل الصحابة بالشروط التي قررها فقهاء العصر.
- وأهم ما في الفنون السمعية قضية الموسيقى التي أثبت اتفاق الأئمة الأربعة على منعها، كما أثبت وجود خلاف قديم حولها، ولعل من أكابر من تعرض لها بنظرتين مختلفتين الإمام ابن حزم والإمام الغزالي وقد مالا إلى الإباحة، ولكنهما وضعاً شروطاً وموانع للسمع لا تتحقق اليوم إلا للقلّة! هذا من ناحية جمع الموسيقى مع الغناء، أما من ناحية الموسيقى العارضة وليست لذاتها فرأي الإمام ابن تيمية في

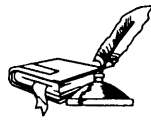
التفريق بين السماع والاستماع اجتهدا وجيه. وميلى لعدم السماع لذاته لا يعني عدم تفهم آراء من اجتهدوا ولكن بشرط الأخذ بكل ما قالوا به ولهم فيه وجه معتبر من ناحية الدليل وقواعد الأصول.

● التعميمات في الآراء وعدم التآني في المنقول من النصوص جمعاً وتمحيصاً، أدى إلى وضع مسائل الفن في غير مواضعها.

● للفن ارتباط وثيق وأصيل بالحضارة والدعوة، وهي في المآل الوصول إلى الجمال بفلسفته وصورته المشرقة وأثره على النفس.

● الفن أحد أهم أعمدة التأثير المعاصر، وهو في أصله نشاط إنساني طبيعي، وغيابه مطلقاً غرم، وتحققه بالتصور الإسلامي الواعي غنم.

● أهمية العناية بالمشاريع الفنية في مساحاتها المختلفة، وزيارة المتاحف والآثار الحضارية الإسلامية وحسن توجيه وتفعيل القائمين عليها، ضمن الأطر العصرية بعيداً عن التجاوزات الشرعية، أو المناوشات الذاتية.



## مع الوداع

آمل ألا يكون حظي من القارئ في هذا الكتاب حظَّ الأستاذ  
جودت سعيد في كتابه «العمل قدرة وإرادة»: أن نرى الأعمال إما  
طاهرة مقدّسة، أو دنسة حقيرة!



## ملحق المقدمات الفنية

عند اطلاعي في مكتبة مركز العالم العربي بباريس على كتب قسم الفنون، وكذا ما طبعته شؤون النشر بمعرض الفن الإسلامي بقطر عند زيارتي له، لفت نظري مجموعة من المقدمات المهمة لعدد من الكتب، التي تحوي خلاصات مركزة لأفكار مؤلفيها، ما كان منها باللغة العربية أو الإنجليزية، ووجدت في هذه المقدمات تعبيرات دقيقة، وإشارات لطيفة اقترفتها يد أولئك الكتّاب، فرأيت من المناسب استلالها ووضعها في هذا الملحق، مع التعليق في الهامش على بعض فقراتها.

## الفسيفساء في تونس (جورج فرادين، اندري مارتني)

لا يوجد بلد آخر يملك ما تملك تونس من فسيفساء، ولا بلد آخر له مثل ما لتونس من تبذخ لتوزع فسيفساءها هدايا ملكية في مختلف القارات ولذلك فإننا لا بد أن نزاوج بين هذا الفن وبين الأرض في وحدة فريدة مثلما نزاوج بين فرحة الحياة وبين الكرم.

ولا يجدينا في شيء أن نتساءل هل كان سكان هذا البلد الصغير - أفريقية - في القرون الأولى بعد المسيح، أكثر منا ازدهاراً أو أقل منا انشغالاً؟

ولكن إذا حكمنا من خلال فنونهم الزخرفية بالمقارنة مع فنوننا نحن فإننا نستطيع أن نعتقد في ذلك: أن في كل فسيفساء وحتى القرن السادس، كان يتفجر نوع من السعادة الضائعة والبهجة المتينة.. تكون ساذجة أحياناً ومدبرة أحياناً أخرى. وقد تكون متصنعة أو متكلّفة. ولكنها مع ذلك تبقى مبلغة مثلما هي طبيعة المسرح الذي يظهر العواطف ويجمع المصائر الرديئة.

«إن الفسيفساء لفن!» هذا ما يجب تكراره على مسامع من قد يستمر، في اعتبارها فناً ضئيلاً. وتبعاً لذلك فإن الفسيفساء تقنية، بل إن

في تسميتها «في اعتبارها فناً ضئيلاً، وتبعاً لذلك فإن الفسيفساء تقنية، بل إن في تسميتها «موزاييك» (mosaique) يكمن اسم آلة الفنون التسعة عند الإغريق «موز» (muses) ومع ذلك فإننا نجرؤ على القول بأن هذا الفن الذي لم يجتنب دائماً المبالغات، لم يؤخذ أصحابه مأخذ الجد أبداً، كما لو أن الفسيفسائيين بقوا يعتبرونه لعبة، وبالحال من لعبة صبر رائعة! (من غير شك يجب التذكير هنا بأنه لا شيء أكثر جدية من اللعب).

وقد كانت في الأصل لعبة جباسين ورسافين راودتهم فكرة صبيانية عبقرية، وهي أن يزاوجوا بين صفائح أو بين شظايا من المرمر الأبيض والأسود، أو أن يفتتوا الحصى الأملس متعدد الألوان أو أن يرصفوا الحصباء المتباينة على أرضية موحدة وقد يكون هذا الأصل آسيوياً، كما تشهد بذلك مخروطات من الطين المشوى، ملونة بالأسود أو الأصفر أو الأحمر، وهي مخروطات كانت تستعمل قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة، لتكوين أشكال معينة (lozange) وحلزونية، وشارات على واجهات القصور «الميزوبوطامية» وهو ما تبينه كذلك التراصيف الموجودة في آسيا الصغرى، في مصر، وفي جزيرة أكريطش (crete) والمتكونة من الأصداف والحصباء المغموسة في الإسمنت.

ولكن رسمياً لا تعتبر هذه التزاويق الخشنة أصولاً «الفسيفساء الحقيقية»، أما الأصول الحقيقية فنجدتها قد ولدت في اليونان في القرن الرابع قبل المسيح وذلك عندما أصبحت الحصباء المصففة تمثل مواضيع أكثر تنوعاً ووضوحاً، رغم أنه لا يوجد بون شاسع بين الهندسية الساذجة لأولئك وبين «مثلوجيا» هؤلاء، فاللعبة قد تكون أصبحت سحرية أكثر منها تصويرية.

وليس من سبيل الصدفة أن العامل، في التراصيف القانية الحمرة التي تزين في تواضع، منازل «كركوان» البونيقية، قد رصع علامات بمثل القوة التي تمثلها «طانيت» بين سمكتين.

إلا أنه في اليونان بالذات قد عمق «الفنانون - الصناع» (لا فرق بين مختلف هؤلاء العمال اليدويين المباركين من الآلهة)، اللعبة وبصورة تكاد تكون جنونية إلى درجة تحدي الحائك والرسام، فهم يصنعون بالأجسام الصلبة ما يصنع الآخرون بغشاء رقيق من الزيت أو بلفة صوفية ناعمة<sup>(١)</sup>.

إذ بواسطة شظايا معدنية كانوا يريدون صنع صور جدرانية لا تمحى، وزراب لا تبلى، وقد نجحوا في ذلك دون أن يهملوا إتقان الرسم ولا لمعان الألوان بل ولم يهملوا حتى التلاعب بالظل والإيهام بالنوء، كلما استحسنوا ذلك.

في البداية كانت هذه الأعمال تخصص للمباني الدينية ثم ومنذ انتقال خالقها للعمل في روما وغيرها من ضواحي الإمبراطورية أصبحت في متناول جمهور الأغنياء فالنبلاء والموظفون السامون والأمراء الخاضعون والتجار الكبار قد عرفوا آنذاك هذا البذخ الذي لا نتصوره اليوم، وهو أن يجروا الماء في حدائقهم على أعمال فنية (يؤججها الماء ويحييها وتسبح فيها الأسماك وتبسم الآلهة!) وأن يتجولوا في بيوتهم كما يفعلون في الحمامات العمومية بين حيوط - لوحات تشتهي تحسسها وأن يمشوا على لوحات أخرى - أو على الأقل على أطرها الرائعة إذ أن المشهد المركزي المسمى «امبليما» (emblem) قد جعل للتأمل لا للدوس بالأقدام.

---

(١) ثمة عبارات منهي عن لفظها شرعاً وتصوراً، لا بد من التنبه لها.

وكما نعلم فقد كان لهذا النمط الدارج من العيش بين نضارة الصور انطلاقة ساطعة. ففن الفسيفساء، بطرقه ومواضيعه، قد ساد في مدة أجيال معدودة العالم الإغريقي اللاتيني بأكمله من سوريا إلى بريطانيا العظمى دون أن يكون ذلك انتشاراً استعمارياً انطلاقاً من مركز حضارة وأناقة.

إذ إن المقاطعات لا تقلد البلد الأم تقليداً أعمى، بل يظهر أن الفسيفسائيين لم يكونوا حتى في إيطاليا أكثر حرية للخلق والتجربة وكانت أعمال الإبداع تنبع من تلك المقاطعات وخاصة من أفريقيا ومن تونس بالذات.

ففي «حضر موت» (سوسة) التي كانت دائماً على علاقة مباشرة بالإسكندرية، وفي «قرطاج» و«أوتيكا» ثم بداخل البلاد: في (أوثينا) «أودنا» و«طربو» و«ثيسدروس» «الجم» كانت تتكاثر المعامل القارة أو المتجولة وهي معامل مجهزة بمجموعات من الأخصائيين ويمكن معرفة تركيبها بكل سهولة:

الرسام الذي يصور على القماش جميع تفاصيل اللوحة والزخارف مشيراً بواسطة القلم إلى الألوان واللوينات في ما يتعلق بمجموع حدود الصور ومساحاتها. ثم العمال الذين سيرتبون المكعبات بعناية فائقة حتى يعيدوا رسم اللوحة بالمقلوب.

ثم أولئك الذين كانوا قد فصلوا بالمنشار إلى قضبان أولاً ثم إلى مكعبات المرمر والبزلت (bazalte) والغرانيت والفرفور وعجائن البلور غير الشفاف أو نصف الشفاف وقد يحتاج أثناء العمل إلى صقلها وإعادة صقلها مراراً حتى تستوي.



وبعد أن تتم لوحة الفسيفساء يأتي دور أولئك الذين يصبون على أفقية المكعبات طبقة من الإسمنت حتى تكون «الامبليما» بلاطة قابلة للنقل، بل وقد يذهبون إلى أبعد من ذلك، ففي الأعمال الأكثر اتساعاً وأهمية ينقلون إلى الحضيرة القماش المرسوم والمكعبات التي قد ألصقوها به، وذلك حتى يضعوها فيما بعد في مكانها النهائي على طبقة من الإسمنت المعد ساعتها.

وتحمل الأعمال أحياناً اسم رسام أو عرف، وهو اسم قد يكون أفريقياً أو لاتينياً أو بونيقياً، إذ لا تميز عنصرياً داخل هذه المجموعات التي تمكنت في مدة وجيزة أن تغطي بالألوان الزاهية الأرضيات والحيطان في المنشآت العمومية من قبور وحمامات معدنية ومسارح وفي جميع المحلات المرفهة في كل مدينة من مدن هذا القطر وضواحيها.

وإنه لواقع أنه في حين نرى اليوم الأمم الأكثر ثراء تقرر ميزانية التجهيزات الاجتماعية الثقافية وتبجح بجدران من الإسمنت العاري، كانت في تونس الرومانية ولمدة تتجاوز أربعة قرون، قرى تعد خمسة آلاف ساكن مثل (ثوقة، دقة) كان لها حظ مساو لحظ أكبر المدن من أضواء الفسيفساء الفاخرة زيادة على الهيبة المعمارية والإسراف في التماثيل، فقد كان هؤلاء المالكون، وأصحاب السفن وتجار القموح والزيت والخمر، يتمتعون بالفن الحاضر في كل مكان والذي كان يعطيهم عن أنفسهم وعن عالمهم الصور الأشد بعثاً على الغرور والاطمئنان.

وقد كانت محلاتهم تتطلب أحياناً هذه الزخارف، إذ على تخطيط ثابت كان بونيقياً ثم هيلينياً وهو يظهر الآن شمال أفريقيا وحسب،

تحولت بيوت متواضعة إلى «فيلات» عظيمة.

فحول ساحة مكشوفة كان التجار البسطاء يملكون بعض الحجرات والحوانيت وسقيفة متعرجة تطل على الطريق، وهو ما نجده على الأرض في مستوى الأسس بمدينة «كركوان» وبعض أحياء قرطاج، وهو كذلك ما نشاهده إذا حلقنا فوق أي قرية تونسية.

ولكننا كما نجد بمدينة تونس قصوراً قد أعادت تحقيق هذا التخطيط مرتين أو ثلاث في القرنين السابع عشر والثامن عشر وذلك بترتيب حجرات شاسعة وغرف ذات أبهة حول اثنين أو ثلاثة من الصحن والحدائق، فإنه قبل ثلاثة عشر قرناً كانت ترتفع منازل لها مساحة نصف هكتار، ولم تكن مقصورة على الريف فقط بل كانت تنتشر كذلك في الأحياء الجميلة بقلب المدينة.

مداخل عظيمة، أبهاء شاسعة، سقائف ذات أعمدة منحوتة ومزوقة وحدائق وبرك: إنها «الفيلات» الخيالية التي تجدها فينا أفلام «هليود» و«التشيني شيطا» تتجلى هنا في واقع يبدو ساذجاً وبسيطاً.

وقد كانت الحنفيات والأحواض وصدور المعابد مزخرفة بمواضيع بحرية، وبمساعدة بعض اللوحات الفسيفسائية يستطيع علماء الآثار معرفة قاعات الاستقبال وقاعات الطعام والغرف والخدور ولذلك لا يحتاج هؤلاء العلماء للديكور ليتبينوا المطابخ والأفران والحمامات والسخان المركزي، والآبار والصهاريج، تلك الصهاريج الخرافية، مغطاة كانت أم مكشوفة، التي تقوم شاهداً بقلب الأرياف والمدن المنسية، صهاريج قرطاج حيث تنام مياه زغوان، والصهاريج العمومية في العمارات ذات الشقق، والصهاريج ذات الطوابق في القصور: إن هذا الزمن وهذه الأرض مصابان بعشق الماء، فلا أحد يحرم منه حتى

وإن لم يكن للجميع رفاهة أهالي «ثيسدروس» التي كانت تتمتع بدورات المياه الجارية الآتية من المدينة، وهكذا نجد أنفسنا مدعوين إلى الإعجاب بمهندسي المياه واللحامين القدماء، بمقدار ما كان أعرافهم من المعماريين على هذه الدرجة من المرونة للتأقلم والسيطرة على المناخ مثلما تشهد بذلك البراعة الظاهرة في منازلهم المضاعفة كتلك الموجودة «ببلارجيا» مثلاً صحن وقاعات وأروقة في الطابق الأرضي بالنسبة للشتاء ومثلها تماماً حتى لكأنها منعكسة على مرآة، في الطابق العلوي بالنسبة للصيف، كما يوجد بالدهاليز من الفسيفساء مقدار ما يوجد بالهواء الطلق.

(وإذا أردنا أن يتعاون المعماريون مع الشعب للبناء فإننا نود أن نحلم بأن يستوحي أولئك من البربر بالجنوب ومن الصحون العجيبة المدفونة التي نراها بمطماطة).

إن إقامة فيلات على حافة البحر لا تتطلب من غير شك قدراً كبيراً من البراعة، وقد بقيت لنا من تلك الفيلات آثار تعد بالمئات بما فيها من سطوحات وحدائق وأروقة على حافة المرتفعات أو الأجراف الصخرية، وكذلك بما لها من مدارج مرمرية ولوحات فسيفسائية تمتد حتى الرمال، حتى تلامس الأمواج وقد اكتشفت واحدة من هذه الفيلات أخيراً في سفح هضبة بمنطقة قليبا وهي تذكرنا بمفاتيح خليج «نابولي» حيث كان يقيم أصحاب الملايين المشهورون في العهد القديم. هكذا كانت آلاف المحلات الفسيفسائية بالنسبة للمحظوظين بفن العيش فوراً في جنة أرضية.

وبالمقابل فإننا لا نكاد نجد إلا الفسيفساء لتعرفنا على أنموذج من المساكن الريفية حيث يظهر فن الحياة على شيء من الانقباض ففي

القرن الرابع ظهرت وسط الحقول فيلات ضخمة ذات واجهات فخمة يخترقها باب وحدي وذات أبراج مربعة عند الزوايا، وشبابيك ضيقة كالكوى.

وتشهد ضيعة «السنور جوليوس» إحدى فسيفسائيات قرطاج، والمسكن المحصنة كما هو الشأن في فسيفسائيات «أودنا» و«طبرقة» بمدى الخوف الذي كان ينتاب الأغنياء، إذ أن سلطة الدولة الضعيفة لم تكن تستطيع حمايتهم من عمليات النهب والتمردات، ولكن رغم كل ذلك فإن فترة الاضطرابات هذه لم تكن طويلة<sup>(١)</sup>.



---

(١) ربما تذخر هذه المقدمة بأثر لون من ألوان الفن ليس على الجمال الظاهري فحسب، بل على القدرة الإبداعية لوضع اللمسات من (الفسيفساء) في زوايا مختلفة ذات تنسيق بديع، تضيف معنى مهماً من قيم الدقة والبراعة والإمتاع، وتوظيف الفن بما يتوافق مع طبيعة الفطرة، ومساحة التسخير والعمران.

## زخارف العمارة الإسلامية في دمشق (د. قتيبة الشهابي)

كغيره من الفنانين في العهود الإسلامية المتلاحقة، والتزاماً منه بالحديث الشريف الذي ينص على منع تصوير كل ذي روح، اتجه الفنان العربي إلى رسم الطبيعة، فكانت الأشجار والنباتات والأزهار ملهمه الأول لإبداع تكوينات تجريدية جمالية وزخرفية من تشجيرية وتوريقية وتزهيرية وكذلك الأشكال الهندسية والخط العربي.

وأبداع هذا الفنان أيما إبداع في إخضاع تشكيلات الزخارف وتطويرها لتتلاءم مع حسه الجمالي الخلاق ولم تطوعه هي، فكانت مدرسة «الرقش العربي» أو الفن العربي الزخرفي الذي يعتمد توازن المشاحة والخط واللون وترابطها وانسجامها، وأطلق الأوربيون على هذه المدرسة اسم «الأرابيسك».

شاع الأرابيسك في أصقاع أوروبا والعالم، وألهم الكثير من كبار الفنانين المشهورين أمثال «ليوناردو دافنشي» في إيطاليا و(دورر) في ألمانيا، وفي فرنسا وغيرها.

وعلى الرغم من التزام الفنان المسلم بمبدأ الابتعاد عن تصوير كل ذي روح كما أسلفت، نراه في بعض الأحيان ينحو إلى التمرد،

حيث نشاهد في قصور الأمويين عديداً من الرسوم الجدارية التي تمثل حفلات الصيد وغير ذلك، وفي العهد العباسي نرى تصوير الأشخاص والحيوانات في خراسان وفارس وآسيا الصغرى.

وكل هذه التمردات لم تضعف انتشار الزخرفة كهدف ووسيلة فنراها تشيع في عمائر العهد الأموي، وترسخ بشكل غني في جامع بني أمية الكبير، وبشكل مترف في واجهة قصر الحير الغربي المنقولة من البادية إلى متحف دمشق وتتميز هذه الواجهة بالمنمنمات التي نشأ منها فن (الركوكو) في أوروبا بعد ذلك.

ولم يترك لنا العهد العباسي من المشيدات ما يمكن الحديث عنه، وكذلك بقية العهود التي تلتها.

ومنذ العهد السلجوقي حتى الأتابكي خصوصاً أيام الملك العادل السلطان نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد بلغت الزخرفة أوجها بظهور القباب المقرنصة ذات الطابع السلجوقي الغريب على عمارة دمشق، وتركز هذا الطابع في قبة وقبة المدرسة النورية الكبرى بسوق الخياطين، وكذلك في قبة البيمارستان النوري وقبوته بمحلة الحريقة، أما القبة المقرنصة التي نشهدها اليوم فوق المدرسة النجيبية بجوار المدرسة النورية الكبرى فهي حديثة التصميم والبناء.

ويتصف العهد الأيوبي بنهضة عمرانية واسعة على الرغم من أنه عهد كفاح وتحرير، والدولة منشغلة بالحروب الصليبية المتواصلة، الأمر الذي جعلها لا تملك الإنفاق على المظاهر الزخرفية بقدر ما تنفق على المعارك والوعى. فلم تحظ المشيدات العمرانية إلا بقليل من الترف الزخرفي الذي ينحصر في مقرنصات وحجارة البوابات الملونة كبوابة المدرسة العادلية الكبرى في حي الكلاسة، والبيمارستان القميري في

جادة المدارس من حي الصالحية، وسواكف الأبواب المنقوشة بالكتابات المؤرخة كدار الحديث الأشرفية البرانية والمدرسة المرشدية في جادة المدارس أيضاً، وكذلك الأشرطة الكتابية في بوابة جدران المشيدات من الداخل كالتربة الخاتونية في نزلة ابن المقدم بمحلة العفيف، والمدرسة الشامية البرانية بسوق صاروجا، وفي البيمارستان القميري، كذلك نرى إلى العناية بالزخارف الخشبية لتوابيت العظماء أمثال صلاح الدين الأيوبي في المدرسة العزيزية بحي الكلاسة جوار الباب الشمالي للجامع الأموي، كل ذلك إلى جانب الحشوات الحجرية المنقوشة بالكتابات المؤرخة ذات الأطر المزخرفة في الجدار الشرقي لقلعة دمشق.

وتميز العهد المملوكي بالغنى الزخرفي وتنوع أشكاله وتكويناته، فظهرت المداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة المعروفة بالأبلق كما في دار القرآن الصابونية بسوق الغنم على أول طريق الميدان التحتاني، والمندرسة السيبائية في الدرويشية وغيرهما، وتطورت المزرات التي ظهرت أواخر العهد الأيوبي كما في المدرسة الجقمقية بحي الكلاسة، وصارت على شكل حشوات مستديرة كما في المدرسة الشاذبكية بحي القنوات، والتربة المختارية الطواشية جوار مقبرة الباب الصغير من جهة الغرب، أو حشوات مربعة أو مستطيلة في واجهة دار القرآن الصابونية، كل ذلك إلى جانب الحشوات الزخرفية الأخرى التوريقية منها والهندسية في معظم بوابات وواجهات جوامع ومدارس ذلك العهد كجامع السنجدار ودار القرآن الصابونية أيضاً.

وفي هذا العهد الغني ظهر الفسيفساء الرخامي الملون والمشقّف الذي تكون منه زخارف نباتية أو هندسية كما في محراب المدرسة

الجممية بحي الكلاسة، إلى جانب الفسيفساء الزجاجية التي نشهدها في تربة الملك الظاهر بيبرس البندقداري داخل المدرسة الظاهرية.

وظهرت أيضاً المقرنصات الحجرية وتوزعت في أعلى بوابات الجوامع والمدارس كجامع التينية في حي الميدان الفوقاني، ودار القرآن الصابونية في سوق الغنم، وفي زوايا القباب من الداخل، وفي تيجان الأعمدة وأسفل شرفات المآذن كمئذنة القلعي في سوق القطن، ومئذنة هشام في سوق الصوف، والحيوطية خلف مشفى المجتهد وغيرها.

وطوّرت العقود وشاع استخدام العقد ثلاثي الفصوص كما في المدرسة الشاذبية بحي القنوات، وابتكر عقد جديد لم تألفه العمارة الإسلامية من قبل وهو العقد الوسائدي ويعتقد بأنه نموذج مطور عن العقد المفصص أو كثير الفصوص، وقد استعمل في عدد محدود من عمائر تلك الفترة كسبيل الخزنة في سوق القطن، وبوابة المدرسة الإخنائية في حي الكلاسة، وجامع التوريزي في محلة قبر عاتكة.

وانتشرت الرنوك في المشيدات المملوكية بدمشق، وهي شعارات أو رموز للسلطان أو نائبه أو لصاحب منصب مسؤول.

وبدأ استعمال الخزف ويعرف أيضاً باسم (القاشاني) حيث نشهده في كسوة الجدران الداخلية لجامع التوريزي، وفي جذع مئذنة البزوري وهما في محلة قبر عاتكة.

واستمرت العناية بالزخارف الخشبية من حفر ونقش وحشوات وتنزيل وتطعيم بالصدف في عديد من منابر الجوامع الكبرى والمدارس المملوكية وغيرها.



وتبرز في العهد العثماني خصائص جديدة هي استمرار لخصائص الفن السلجوقي، فالمآذن أصبحت نحيلة القد ممشوقة القوام بأسقة الارتفاع، كمئذنتي التكية السليمانية، وانتشرت الخانات في أرجاء دمشق وتفنن المصممون في زخرفتها وتزيينها بالقباب والعقود والحليات المعمارية والحجارة الملونة، كخان أسعد باشا في سوق البزورية، وخان الجمرك في جادة سوق الحرير.

وشاع شكل جديد من العقود المطورة عن العقد التيودوري أو العباسي فأصبح الضلعان المستقيمان مقعران قليلاً نحو الخارج، ونشهد نموذجاً لها في عقود القاشاني الذي يعلو نوافذ التكية السليمانية، كما تراجع استخدام الأقواس المدببة المتجاوزة، وحل مكانه استعمال العقد الدائري المتجاوز.

وظهرت أنماط جديدة من تيجان الأعمدة ومقرنصاتها، كما في بوابة عمد أروقة التكية والمدرسة السليمانيتين، وبوابة جامع سنان باشا في ساحة باب الجابية.

وانتشرت الزخرفة بالقاشاني الأزرق والأخضر، بعروق نباتية وأزهار، وكسيت به جدران الحمامات كحمام القيشاني في سوق الحرير، وجذع مئذنة فريدة في مظهرها هي مئذنة جامع سنان باشا في باب الجابية، وفي أعلى نوافذ التكية السليمانية. إلى جانب القاشاني استمر استعمال (المشقف) وهو الفسيفساء الرخامية، وكذلك النقش الحجري للرسوم الهندسية.

وطور نوع جديد من الأبلق أود أن أسميه (الأبلق الكاذب)، لأنه يعتمد على إملاء الزخارف المحفورة ضمن الحجر بمادة ملاطية ذات لون مغاير، بدلاً عن استعمال حجر بلون آخر كما كان الحال في أبلق

العهد المملوكي، وشاع استعماله في تزيين الواجهات والجدران الداخلية في البيوتات الكبيرة والقصور كقصر العظم أسفل سوق البزورية.

وتراجعت زخرفة الخشب بالحفر والتنزيل والتطعيم، وحلت محلها زخارف العجمي التي تعتمد على طلاء العروق النباتية والأشكال التوريقية بالألوان وتوشيتها بلون الذهب في السقوف والجدران الداخلية للبيوت الدمشقية الكبيرة.

وخلافا لآراء بعض الباحثين حول اختفاء الزخرفة الإسلامية من مشيدات دمشق خلال النصف الأول من هذا القرن أقول: إن هذه الآراء مبالغ فيها بعض الشيء فلقد أقيم أو جدد في تلك الفترة عدد لا يستهان به من المساجد والمآذن والمباني على طراز العمارة الإسلامية، كجامع السقيفة المجدد سنة ١٩٤٤م، وجامع العفيف المجدد سنة ١٩٥٠م، وجامع الأفرم سنة ١٩٥٥م، ومبنى البرلمان سنة ١٩٢٨ - ١٩٢٩م، ومؤسسة مياه عين الفيحة في شارع النصر خلال السنوات ١٩٣٧ - ١٩٤٢م، وأعيد بناء جامع تنكز في شارع النصر سنة ١٩٤٥م، وأقيم القصر العدلي سنتي ١٩٤٧ - ١٩٤٨م، أما البيوت السكنية فتأثرت بطراز العمارة الفرنسية خلال فترة الانتداب، ونشهد ذلك في عمائر طريق الصالحية ومحلي باب توما والباب الشرقي.

وعاد الانتعاش إلى العمارة الإسلامية المعاصرة في مشيدات الجوامع والمساجد الكبرى بدمشق كجامع عبد الله بن رواحة في دوار باب المصلّى، وجامع زيد بن ثابت الأنصاري في محلة الفخامة، وغير ذلك كثير. أما العمارات السكنية المعاصرة فلا زالت متأثرة بأسلوب (اللاطراز)، أو أسلوب (علب الكبريت) المرصوفة فوق بعضها البعض.

## هندسة العمارة الطينية (سلمى سمر الدملوجي)

رحلتي إلى عالم عمارة وادي حضرموت بدأت نتيجة مهمة كلفت بها عام ١٩٨١ إلى اليمن، حين عملت كاستشارية في قسم المستوطنات البشرية للمكتب الإقليمي للجنة الاقتصادية لغرب آسيا (التابع لمنظمة الأمم المتحدة في بيروت)، لقد استهدفت تلك المهمة تقييم الوضع العام للمستوطنات التقليدية في حضرموت وصنعاء وإعداد توصيات عن مستلزمات التأهيل المعماري (للمؤسسات المعنية)، فضلاً عن تقييم تخطيط المستوطنات الجديدة في سياق التوسع الحضري المتكامل.

في حضرموت، ركزت على العمل في مدينتي (شباب وتريم)، إذ كانت اليونيسكو قد رشحت شباب قبل ذلك كأحدى المدن التاريخية السبعة في العالم، وكنتيجة لذلك تم إعلان الحملة العالمية لحماية مدينة شباب (والتراث الحضاري لوادي حضرموت) في كانون أول من عام ١٩٨٤، ولما كانت شباب استحوذت الاهتمام الذي تستحقه وما زالت بحاجة له، فلقد عزمُ على التوسع في دراسة مقارنة لتريم، بغية إلقاء الضوء على استنتاجات موازية بشأن الحاجة الملحة للتأهيل وبسبب كون ثروة الماضي المعمارية وقيمها المنظورة في وادي

حضر موت لا تقتصر على شبام وحدها.

إنها تلك الرحلة الأولى، التي أقنعتني بضرورة الالتزام، خلال السنوات العديدة والرحلات التي تلتها مذاك، بالتعمق في دراسة ثروة معمارية متميزة تستجوب التناول الجاد من أجل العمل في مضمارها والتعلم منها في آن.

وبحكم الرحلات الميدانية التي قمت بها لهذا الغرض، فقد تجمع لدي كمّ من المادة الفنية أثناء المكوث في (سيئون) والترحال إلى (شبام وتريم)، ومن خلال المسح الميداني والفوتوغرافي المصاحب بالمقابلات اليومية مع المسؤولين والسكان والحرفيين والبنائين في حضر موت ومن ثم في (عدن)، صار ممكناً التوصل إلى فهم الوضع المحلي والسياق المادي الذي يشكل المصفوفة (matrix) المعمارية لهذه المدن، وقد أتاح ذلك أيضاً تحديد واقع ومدى المشاكل الحالية، التي تجابه المجتمعات المتفاعلة مع هذه العمارة على المستوى الحياتي المعاش، من خلال متطلبات التغيير والتطور.

إنه لغنيّ عن القول أن تعاون الأهالي واهتمامهم، شكلاً مساهمة أساسية في تحقيق مهمتي إزاء التوثيق المعماري، المنطلقة إيحائته من داخله، وليس من مجرد ملاحظات وصفية مستندة على ظاهر الواقع الحضري، ومما ساند هذا ما لمست من كل مواطن يماني جنوبي قابله، على اختلاف توجهه وطبيعة عمله، من وزير في الدولة إلى الساكن العادي، فكل منهم لديه رواية ما عن العمارة، سواءً عن بناء داره الشخصي، أو عن بيت أجداده، وكل منهم يحمل ذاكرة مرئية واضحة تتعلق بشكل من أشكال فن وخبرة حرفة البناء التقليدية سواء في قريته أو مدينة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن طبيعة واقع اليمن بشكل عام وحضرموت على نحو أخص، كانت إبان الثمانينات غير عادية ولا مألوفة، سواء في اعتبار الزمان أو المكان، (أصبح هذا مؤخراً موضوعاً لكتاب فوتغرافي للمؤلفة بعنوان (Ayemen Reality) حيث كان الهيكل الاجتماعي المتصف بالعزلة والتقاليد المحافظة يتمكن من التأقلم ويتوازن دقيق بين النظام الاشتراكي، وبين المنحى الإسلامي الذي يستبطنه.

على ضوء هذا الواقع، فلقد سرّت في شوارع ومدن حضرموت، كظاهرة غريبة في البداية على الأقل، ليس لأنني امرأة سافرة، بل امرأة عربية وغير نصرانية (على الرغم من أنها تعني المسيحيين تحديداً، فإن النصراني نسبة للناصرية، مصطلح شائع يطلق على الأجانب والغربيين في حضرموت منذ أيام الاستعمار).

كما إنني كنت امرأة غير محجبة في منطقة شديدة التحفظ تجاه نساءها المحجبات بالأسود التقليدي الفضفاض لكي أتنقل في مدن لا تزال ملتزمة كلياً بعاداتها وتقاليد حياتها المتعلقة بالنساء، بغض النظر عن الاصطلاحات الداخلة حديثاً والجهود المبذولة للتغيير من خلال تثقيف المرأة.

كانت تواكبني مظاهرة من الأطفال يهزجون أغانيهم وغبار تراب الأزقة المتطاير عن سرعة تجمعهم وتفرقهم.. فكنت مصدر فضول للنسوة القابعات خلف «خلاف» شبايكنهن حيث تراقبن بخفية وسرية في طوابق التراويح العليا، وتؤشرون لي بالصعود إلى مراوحن<sup>(١)</sup>.

---

(١) إدخال عنصر (عدم الحجاب) ضمن الجولة، وتكراره مرتين في المقدمة،

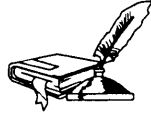
قد لا يخفى معناه عند اللبيب!

لا بد لي في هذا السياق من تثمين حسن الضيافة والاستقبال التي لقيتها من الأهالي والقبول الكريم من رجال حضرموت في تعاملهم معي بأجدر أشكال الاحترام والوقار، فما كانت ردة فعل الأهالي والمسؤولين أمام استفساراتي المتواصلة المرفقة بآلات التصوير والتسجيلات ودفاتر الملاحظات إلا أن تنعكس في التجاوب مع متطلبات فضولي اللانهائي تجاه العمارة، إن كان هذا متمثلاً في تنظيم اللقاءات وتوفير إمكانيات السفر والانتقال اليومي المتواصل بين شبام وسيئون وتريم أو تنسيق زيارة مواقع شتى خلال المسح الميداني والمعماري، وقدموا لي جهداً إيجابياً للتغلب على العوائق التقليدية وتسهيل مهمتي بإنجاز العمل المنوط بي وتنفيذه موقعياً.

هؤلاء جعلوا العمل اليومي فعالاً في حضرموت وبالتالي غدوا اندفاعي تجاه عمارتهم، ليتعدى الهدف وضع تقرير بصدد مهمة رسمية إلى الطموح في تحقيق حلم الحفاظ على عمارة حضرموت لتستمر حضارتها المعمارية شامخة مستقلة ومعاصرة في تحقيق متطلبات الحداثة.

جعلت مساهمة هؤلاء الأهالي والمسؤولين في عدن وحضرموت، والذين أدركوا تعلقي بالحفاظ على فن عمارتهم الحية، إمكانية متابعة العمل في اليمن ممكناً وإيجابياً بحيث أن رحلاتي التي تلت إلى المنطقة (١٩٨٧-١٩٩٠م)، والتي غطت الجزء الأكبر من محافظات البلاد، والتي تمت لأجل العمل وإدارة حضرموت وإلى أشكال الطرز وتقنيات العمارة اليمنية على اختلاف ليس في عموم حضرموت (وادي دوعن والشحر والمكلا ووادي حجر) بل في محافظات الجنوب المميزة معمارياً (شبوة، يافع، ولحج وعدن).

كانت كافة مواد البحث الأصلية كالمقابلات والملاحظات تدار وتدون باللغة العربية وباللهجة اليمنية تحديداً فالفضول عن شبام وتريم تجمعت من الملاحظات الموقعية الأصلية (١٩٨٢ - ١٩٨٧)، والتي حاولت الإبقاء على صيغتها قدر الإمكان وفق أشكال التعبير الأصلية، يحتوي الفصل الرابع المعنون، «مسائل معمارية» على مقابلات مع الحرفيين والبنائين وكذا التعليقات وفق اللهجة الحضرية، كما يضم قصيدة غير منشورة عن مساجد تريم، وهي بمجموعها تعد مصدراً مادياً مرتبطاً أو مكماً لشبام وتريم، فقيمة طابع هذه المادة تكمن في صيغتها الأصلية<sup>(١)</sup>.



---

(١) لنا أن نعلم أن هذا البحث (هندسة العمارة الطينية في حضرموت)، أعد للكلية الملكية للفنون بلندن، وتمويل كامل منها!!

## وحدة الفن الإسلامي (مركز الفيصل للبحوث والدراسات)

لقد كانت وحدة الفن الإسلامي وتنوعه موضوع جدل جاد بين العلماء والدارسين منذ أن استقرت من الناحية الرسمية دراسة الحضارة الإسلامية في معاهد التعليم الأكاديمية. وقد أدى هذا إلى خلاف وفروض. ولا حاجة بنا إلى القول بأن الأعمال الفنية التي أنتجتها البلاد الإسلامية تكشف عن عدد من الخصائص والمعالم الثابتة، كما تكشف عن تنوع إقليمي متميز وعن أساليب تنتمي لفترات زمنية معينة. وبما أن المناقشات - سواء لإثبات وحدة هذا الفن أو لتنوعه - تقوم في غالب الأمر على الخصائص المادية للأعمال الفنية وعلى زخرفتها السطحية - مثل ما عليها من نقوش أو زهور أو عناصر هندسية أو شكلية - فإنها تعتمد على الأمثلة التي اختيرت لتوضيح وجهتي النظر المطروحة، سواء ثبتت أم لم تثبت. والمناقشات المعروضة هنا لإثبات وحدة الفن الإسلامي سوف تنحو منحى مختلفاً لأنها سوف تكشف عن العوامل المشتركة التي وحدت بين التراث الفني الإسلامي، بصرف النظر عن الفترة أو المنطقة التي ظهر فيها، كما أنها سوف تقوم بتحليل المتطلبات الاجتماعية التي فرضها على الفنان. إنه منذ بداية العهد الإسلامي



ظهرت أشكال فنية معينة واتجاهات جمالية كانت لها منزلة رفيعة بين المسلمين وكانت وثيقة الاتصال بهم على اختلاف أقطارهم وطبقاتهم الاجتماعية.

وأهم خاصية عامة يمكن تمييزها مباشرة للفن الإسلامي وللمجتمع المسلم هي حبه وتقديره للخط. وتبع هذا إصرار على استثمار الأعمال الفنية بأن تكون ذات موضوعات ورموز لها معنى، وإصرار على أن تكون ذات تصميم دقيق ومتناسق.

وعلى الرغم من أن الإسلام قد التقى بحضارات ذات أنظمة سياسية واجتماعية متنوعة خلال فترات امتداده وانتشاره فإن المفهوم الجديد للعالم الذي تبلور مع مجيء النبي محمد ﷺ سرعان ما فرض خصائصه التي انفرد بها على جميع البلاد المفتوحة، ولم يكن تأثير الإسلام قائماً على السيطرة المادية بقدر ما كان قائماً على قوته الفكرية والثقافية وعلى عالميته المتضمنة في تعاليمه، وهذا ما يفسر سرعة انتشاره وقبوله.

وهناك ظهرت بيئة جديدة كانت مهمة اهتماماً عميقاً بالبحث عن المعرفة اللازمة لفهم ما في الكون من نظام وانسجام والتعبير عن إيمانها. وقد أدى هذا بالضرورة إلى التأثير في نمو الفنون وتطورها. ففي خلال القرن الأول بعد وفاة النبي ﷺ كوّن الإسلام لغة فنية كانت بمثابة التعبير الذي انفرد به وتميز في وصف حضارته وقبلت هذه اللغة الفنية قبولاً واسعاً ابتداءً من سهول وأواسط آسيا إلى شواطئ المحيط الأطلنطي. ولم تستطع حضارة أن تنتشر في مثل هذه المساحة الواسعة وفي مثل هذا الوقت القصير، موحدة سكان هذه المناطق ذوي الأصول العرقية واللغوية المختلفة اختلافاً واسعاً تحت عقيدة واحدة ولغة واحدة وتعبير فني واحد.

وكان العامل الموحد الأقوى الذي يأتي بعد العقيدة هو اللغة العربية، تلك اللغة التي اختارها الخالق لتكون الوسيلة التي يتصل بها النبي بالإنسانية ويبلغها رسالته. إن هذه اللغة لم تكن لساناً فقط بل كانت كذلك اللغة التي نزل بها الكتاب المقدس وكتب وتم بها حفظ تعاليمه، ولكي تسمو في فن الكتابة، وتكتب القرآن بأكثر يد ممكنة من حيث الجمال والأناقة أصبحت عملاً دينياً، وتطور الخط وظهر على أنه أنبل الفنون جميعاً.

وأهمية الخط في الحضارة الإسلامية لا يمكن أن تكون أهمية مبالغة فيها، ذلك أن هذا الشكل من الفن قد احتفظ عبر القرون بأعلى المستويات الجمالية والفنية، ومن الممكن اعتباره التراث الوحيد الذي استمر في أن يكون مطلباً للمسلمين يمارسونه في كل المناطق والعصور الإسلامية. وقد انعكس هذا الحب والتقدير للكلمة المكتوبة في الاحترام الذي منح للخطاط الذي كان دائماً أعلى الفنانين أجراً وأكثرهم طلباً من قبل الناس.

ويظهر اسم الخطاط في الشارات والمخطوطات في الوقت الذي يختفي فيه أسماء الفنانين الآخرين عادة، كما يوجد توقيعه غالباً على عينات من الخطوط الموجودة في طوابع الملوك. وعلى العكس من الرسامين والخزافين عن الخطاطين، مناقشة أساليبهم ومتحدثه بتفصيل عن حياتهم وتدريبهم وكذلك عن أساتذتهم وتلاميذهم.

ولقد زاول السلاطين والشاهات ورجال السياسة ذوو النفوذ فن الخط ومارسوه كذلك وقضوا سنوات مع الأساتذة المشهورين لكي يجودوا من أساليبهم في الكتابة ولقد قاموا بنسخ القرآن وكتابة بعض آياته على أوراق منفصلة أودعوها مقتنياتهم أو وضعوها في براويز

وعلقوها على الخرائط، وكانوا في كل ذلك يتبعون أسلوب الخطاطين،  
ويقلدون نماذجهم.

ولقد كان للحب العظيم الذي بدا في نسخ القرآن أثر ظل لفترة طويلة على التراث الفني في الإسلام. ونشأ عن الأهمية التي كانت تمنح للمخططات الدينية احترام وتقدير للكتب التي كانت تتناول العلوم أو التاريخ أو الأدب. كما تطور إنتاج الكتاب إلى شكل فني معقد تطلب خبرة الخبراء المتخصصين بما في ذلك الذين كانوا يصنعون الورق وينتجون الحبر والصبغات والأقلام وغير ذلك من أدوات الكتابة، والذين يقومون بتجليد الكتب بالجلد والذين أنتجوا أغلفة للمخططات مطبوعة بالذهب بشكل دقيق وأنيق، والخطاطون الذين يخصصوا في الكتابة بأساليب متنوعة، والمزخرفون الذين صمموا ونفذوا البدايات والنهايات وعناوين الفصول والزخارف الهامشية، ثم الرسامون الذين رسموا شروحاً وتوضيحات صاحبت الآيات القرآنية والكتب الأخرى.

وأصبح تأسيس المكتبات ودعم المراسم التي كانت تزود هذه المؤسسات بالمخطوطات من مميزات حياة الأمراء ومن متطلبات الحكام الكبار ومستلزماتهم. وكانت المخطوطات تقتني إما باختيارها مما هو موجود أو بشرائها من العلماء والمؤرخين والشعراء الذين كانوا يتجمعون في بلاط الملوك والأمراء.

وتوزيع العمل على العاملين الذين اشتغلوا بصناعة الكتب المبكرة، وبناء الاستوديوهات أمور علينا أن نحددها، ولكن كان من الواضح أم كل الحكام - كباراً كانوا أم صغاراً - طمحووا في أن يتبنوا الفن وأن يكونوا من رعاته وأن يدرسوا إنتاج المخططات ذات التكاليف

الباهظة. وكانت الكتب من أعمال الفن التي يعتز بها وحظي منتجوها باحترام كبير، وكان كل ذلك شاهداً بالمستوى الثقافي الذي وجد في المجتمعات الإسلامية الأولى.

وكان الحب المتضمن في نسخ وكتابة القرآن الكريم واضحاً في النسخ الأولى له التي ترجع إلى القرن الثاني والثالث الهجري (الثامن والتاسع الميلادي). وحتى البسطاء والأميون كانوا يؤخذون بالإيقاع والانسياب اللذين تمثلان بشكل دقيق في الخط. وعلى الرغم من أن كلا من الخط الكوفي - وهو خط قائم على الزوايا - وخط النسخ - المتصل بعضه ببعض - كانا معروفين في عصور ما قبل الإسلام، فإن الخطاطين المسلمين الأول اختاروا النوع الأول وحولوه إلى نمط ملكي واستمر الخط الكوفي يستخدم في الكتابة عبر التاريخ الإسلامي، حتى في الأوقات التي أصبحت فيها أنواع من الخط المتصل - مثل الثالث - بأكثر شهرة. وقد استعمل هذا النوع الأخير في كتابة أصل الكتاب، أما الخط الكوفي - وهو أول خط إسلامي يستخدم في كتابة القرآن - فقد ظل دائماً محتفظاً في كتابة أصل الكتاب، أما الخط الكوفي - وهو أول خط إسلامي يستخدم في كتابة القرآن - فقد ظل دائماً محتفظاً بقيمته ومكانته، كما ظل يختار لكتابة العناوين ورؤوس الفصول.

وتطور الخط المتصلة حروفه بعضها ببعض إلى عدد من الفروع التي تطورت بدورها إلى فروع أصغر وذلك بعد القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وأصبح كثير من الخطاطين خبراء في عدد من أساليبه المختلفة. وقام بتحديد ستة أنواع متميزة من ذلك الخط المتصل «ياقوت المستعصمي» (الذي توفي عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩) والذي استعمله الخلفاء العباسيون ببغداد وأنتج أعمالاً أسطورية لا تزال تحظى باحترام

عشاق الخط الإسلامي. وقام بتنقيح قوانينه عالم آخر بارز في هذا الحقل هو «الشيخ حمد الله» (٨٤٠ - ٩٢٧هـ/١٤٢٦ - ١٥٢٠م) معلم السلطان العثماني «بايزيد الثاني». ومن المبتكرين المشهورين «مير علي التبريزي» الذي يرجع إليه الفضل في ابتكار نوع «النستليق» وذلك في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، و«أحمد قره حضاري» (٧٨٣ - ٩٦٤هـ/١٤٦٨ - ١٥٥٦م) الذي كان فنان البلاط العثماني والذي كان لا يزال خطاه الكوفي والثالث يقلدان من قبل الكثير، و«مير علي هيرات» فنان القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) الذي ارتفع بالخط النستليق في كتابة آيات على صفحات مفردة والذي خلف كثيراً من الكتابات حتى أنه ليضعف أن تجد مقتني ملكياً خالياً من عمله الرائع، ثم الأستاذ التركي الكبير «حافظ عثمان» (١٠٥٢ - ١١١٠هـ/ ١٦٤٢ - ١٦٩٨م) الذي أصبحت نسخه للقرآن النسخ الأولى التي تطبع بشكل مطابق للأصل في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).

وازدهر فن الخط عبر تاريخ الإسلام، وكان يعتز به بصفة خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي). ويستمر الخط - باعتباره تعبيراً فنياً متميزاً عن العقيدة الإسلامية - في تمتعه بالاحترام والتقدير الخاصين في المجتمع المسلم.

وكان رعاة هذا الفن وعشاقه - أغنياء كانوا أم فقراء، ملوكاً أو عامة - يبتاعون مجلدات ضخمة مستقلة بذاتها أو صفحات مفردة كتبها الفنانون الذين يعجبون بهم، وقد أدى الاهتمام المستمر بالتراث وبالنواحي الجمالية في الخط إلى تنشيط هذا الشكل من الفن وجعله

حباً دائماً ومتجدداً وحفظه من الضعف ومساعدته في أن يحتفظ بمستوياته القوية التي لا عيب فيها. وتطلب هؤلاء الرعاية امتيازاً ونوعية عالية، وارتفع الخطاطون إلى هذا المستوى من التحدي بشكل يدعو إلى الإعجاب. بالإضافة إلى استخدام الخط في كتابة المخطوطات فإنه كان يعتبر جزءاً متكاملًا من فنون أخرى، كما كان يستخدم كعنصر زخرفي ووسيلة لنقل الرسائل. وتشير حصيلة أشغال المعادن والخزف والمنسوجات والزجاج التي ترجع إلى سنوات تأسيس الإسلام إلى أثر هذا الفن الكتابي. فالنماذج الأولى من الأشغال المعدنية مزينة بزخارف تحمل سلسلة من التمنيات الطيبة أو العبارات الدينية. وتوجد نفس الأفكار في أنواع الخزف المعاصرة، وخصوصاً تلك التي كانت من إنتاج القرنين الثالث والرابع الهجري (التاسع والعاشر الميلادي) في شمال شرق إيران والعراق. والجمل العربية كانت تهب «الصحة» أو «الغنى» أو «القوة» أو «النعم» إلى مالك هذه الأعمال الفني» أو تنصحه بأن «يثق بالله» أو تضم عدداً من المواعظ البليغة والحكم المفيدة. وكانت محتوياتها هادية ومرشدة وتعكس رغبة حماة هذه الأعمال ورعاتها في أن يستخدموها استخداماً يومياً وهي مزينة بهذه الجمل والعبارات التي تمثل قيم وأخلاق المجتمع.

وأصبحت الزخارف في أشكالها المتنوعة أكثر الخصائص المميزة في لغة الأعمال الفنية التي ظهرت بين القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والقرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). والمعلومات التي تحملها هذه الزخارف يمكن أن تكون على جانب كبير من الفائدة في معرفة أنواع الرعاية والحماية لهذا الفن وفي تمييز

أسماء من يملكون هذه الأعمال وأسماء الفنانين الذين أيدعوها وفي معرفة التابع الزمني للتعبير الفني.

والخاصية الملازمة الثانية التي تميز الفن الإسلامي هي الميل إلى تزيين العمل الفني بموضوعات وأفكار ورموز مقبولة قبولاً عاماً، وفي ذلك إعلاء لقيمته الذاتية. فبالإضافة إلى الرسائل المكتوبة التي ناقشناها قبل ذلك، استخدم الفنانون قدراً كبيراً من العناصر والأفكار الفنية التي كان مقتنو هذه الأعمال يدركونها ويفهمونها بشكل مباشر.

وخلال سنوات تأسيس الفن الإسلامي اعتمد الفنانون على التراث الموجود وزودوا عشاق الفن بأعمال فنية مزينة بموضوعات وأفكار مألوفة. وكانت تقوم هذه على الفنون الرومانية والبيزنطية والقبطية التي كانت توجد في شرق البحر الأبيض المتوسط، وكذلك كانت تقوم على التراث الساساني في العراق وإيران، وإلى حد ما على تراث وسط آسيا في الهند والصين. وسرعان ما انتقلت هذه الأنواع من التراث واندمجت في موضوعات إسلامية جديدة ساعدت الفنانين على أن يكونوا لغة زخرفية موسعة.

وتمثل انسجام هذا الكون واتساقه وحياته وحركته الدائمة في زخارف زهرية منسقة بشكل رفيع حاملة زهوراً طبيعية بديعة، وكانت هذه الزخارف تتجاوز الحدود المادية للوحدات ويركب بعضها فوق بعض، وتخلق بذلك لدى ناظرها شعوراً باللانهاية في المكان والعمق.

وتبدو هذه الفكرة في زخرفة المخطوطات وفي زخرفة المباني وفي كل الفنون الإسلامية تقريباً، وكانت بعض الأعمال الفنية تزخرف بعدد كبير من الأزهار والأشجار المزهرة التي تمثل مفهوم التمام والكمال والربيع الدائم، كما يرى ذلك في عدد من أعمال الفخار

التركية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وكانت أعمال فنية أخرى تمثل عنصراً واحداً فقط، غالباً ما يكون برعم اللوتس المركب والذي كان يعتبر صورة مجردة لنفس الفكرة.

وكانت الموضوعات الملكية أكثر وضوحاً في التعبير، كما كانت ترسم مشاركة الأمراء في مثل هذه الأنشطة: الموائد، والصيد، وألعاب البولو، والمعارك، وكانت الأعمال الفنية التي ظهرت فيما بين القرنين السادس والثامن الهجري (الثاني عشر والرابع عشر الميلادي) تؤثر الموضوعات والأنشطة الأميرية بصفة خاصة، ومن المرجح أن تكون نماذج الزخرفة أو القصص المختارة التي ظهرت على الأشغال المعدنية وعلى الفخار والزجاج والعاج وعلى الفنون الأخرى قد أخذت من زخارف الكتابة حيث قام الرسامون برسم ملوك التاريخ وهم يمارسون هذه الأعمال والأنشطة الفذة، وعندما انتقلت هذه القصص من الكتابات النصية إلى القطع الفنية كالأواني المطلية والأواني النحاسية فإنها أصبحت رموزاً لأشياء جيدة على الأرض والحياة المتصلة بها، وكان مقتنو هذه الأعمال الفنية مسرورين بشكل واضح لامتلاكهم لها وخاصة أنها كانت تضم عبارات سارة ومبشرة بالخير كما سعى هؤلاء إلى أن يحيطوا أنفسهم بتلك الأعمال الفنية التي كانت تدرس معانيها وتحلل وتناقش وتتم المشاركة فيها، كما أنهم فهموا كذلك أن هذه العناصر المفردة كأسد أو نسر يهاجم فريسته لم تصور فقط الملوك وهم يتغلبون على أعدائهم، ولكنها كانت ترمز كذلك إلى انتصار الخير على الشر، وانتصار الإيمان على الكفر.

وكانت المجتمعات الإسلامية معنية عناية كبيرة بعلم الفلك،



يشهد بذلك العدد الكبير من الأدوات والأجهزة التي خصّصت لهذا الموضوع، وكان الاعتقاد أن الأجرام السماوية عبارة عن جزء متكامل من عالم الإنسان، لذلك لم يكن غريباً أن نجد رسوماً مصورة للنجوم ومجموعات الكواكب، ويشير الهلال والنجم - الممثلان اليوم في أعلام العديد من الدول الإسلامية - إلى استمرار هذا التقليد.

والخاصية الموحدة الثالثة، وهي وجود التصميم المتناسق والدقيق، خاصية تميز كذلك بشكل مباشر الفن الإسلامي، وسواء أكان العمل الفني وجهات مبان، أو طبقاً من الخزف، أو إناء من النحاس مطلياً بالفضة، وسواء كان هذا العمل الفني من إنتاج سنوات تأسيس الفن الإسلامي أو تم إنتاجه تحت تأثير التراث الأوروبي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، فإن التصميم الحاوي لهذا العمل يحمل جمال الطابع الإسلامي في التصميم، ذلك أن السطوح كانت تقسم إلى وحدات متناسقة أو إلى مناطق ذات نسب محددة، وكانت هذه المناطق تملأ في هذا الوقت بموضوعات أصلية وأخرى ثانوية، كما كانت عناصر معينة تتكرر أو تتأكد، مكونة بذلك تأليفاً دقيقاً متوازناً، ولم يكن التصميم الرسمي في زخرفة القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) مختلفاً عن ذلك الذي استخدم في كتابات القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، وقد تختلف عناصر الزخرفة ونسب التقسيمات، غير أنها كلها كانت تخضع لنفس معايير الجمال.

وحتى عندما انتهت فكرة التماثل وألغيت من التصميم، فإنه من الواضح رؤية محاولة تحقيق النسق والتوازن بين العناصر التي يتكون منها الشكل، ومن حين لآخر كان التوازن يتم من خلال الصورة «السلبية» و«الإيجابية» لنفس الموضوع، ويمكن ملاحظة هذا في حالة

العديد من الأطباق الخزفية التركية التي ظهرت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حيث كانت الزخرفة بالأزهار باللون الأزرق المخضر على اللون الأبيض داخل الطبق، بينما دهنت الأرضية بخارجه باللون الأزرق، مع الاحتفاظ بنفس الزخرفة باللون الأبيض، وهو لون الجسم أو قوام الطبق، هذه الثنائية في التصميم التي تؤكد كلام من الخلفية والأمامية استخدمت استخداماً كثيراً، وقد حظيت الموضوعات الأساسية والثانوية باهتمام متساو، وكان تقدم أحدهما أو تقهقره يعتمد على نظرة الناظر، وكان الفنان يحقق هذا الاهتمام الحي بالسطح بكل من العناصر الشكلية للتصميم والتأثيرات اللونية، ومثال ذلك أن الزخرفة الزهرية بنباتات طبيعية مزهرة مركبة فوق بعضها على شكل أوراق مقسمة بغصون قد تبدو عند النظرة الأولى أنها فوق الأخيرة، ولكن عند الفحص الدقيق يكتشف الناظر أن بعض الأوراق المقسمة نصفين موضوعة على قمة الأزهار، وبذلك توجد نوعاً من الغموض والعلاقات المكانية، وفي أعمال فنية أخرى، تصبغ الخلفية بصبغة لامعة تعمل على إبراز وإخفاء ما هو مفروض منطقياً أن يكون الموضوع الرئيس، وقد تغمر أجزاء الرسم الإطار المرسوم بعناية وتتجاوزه إلى الهوامش، وقد تكون عناصر معينة من الجراءة بحيث تتخطى النص وتنمو بقوة بين الآيات، وغالباً ما لا ينظر إلى الحدود المادية، ولا يبدو إلا تكوين مصغر لكل التصميم يمكن إدراكه في إطار العمل الفني، وهذه الخاصية تلاحظ بشكل خاص في السجاد حيث تنطلق الحدود على الجوانب الأربعة عبر التكوين الفني وتغلق جزءاً منه فقط، ويدرك المرء أن التصميم يستمر بدون نهاية في بعدين وحتى في ثلاثة أبعاد، ولم يرسم هنا إلا جزء واحد فقط أو مجرد رمز للكل.

ويدل امتداد التصميم وتجاوزه الحدود المادية للعمل الفني على أننا نتعامل مع نفس المفهوم الموجود، فالتصاميم الإشعاعية، أي التمثيل البصري لانسجام الكون ونظامه، ووجوده اللانهائي المعقد والذي يشاهده الناظر هو جزء يتحد معه ويكون جزءاً منه.

ويعكس الفنانون المسلمون المستويات الخلقية للمجتمع المسلم واندماجه الكلي في التمثيل الإلهي للعالم المادي، وكان الاهتمام الأول للفنان أن يقدم عملاً فنياً ينطوي على رسائل داخلية ذاتية يمكن تفسيرها على عدة مستويات، وكان أبسط مستوى هو تقدير وتذوق الخصائص الجمالية والفنية للأعمال الفنية، وكانت هذه الأعمال قد صممت تصميماً جميلاً وأخرجت إخراجاً رائعاً، كما كانت تحمل موضوعات ذات معنى يسهل إدراكها لمن يقتنيها، وحملت بعض هذه الموضوعات والرموز التبريكات والأمانى الطيبة مع الطلاسم الواقية، وهذه الموضوعات والرموز ذاتها أمكن تفسيرها بطريقة أحسن وأدق من قبل المجتمعات المثقفة: إنها مثلت شمولية هذا الكون وكليته ونظامه وانسجامه وتناسقه وجماله.

إن وحدة الفن الإسلامي قد ظهرت جلية في ذلك الوقت في استخدام الخط وفي الرمزية وفي التصميم المتسق، وكلها صور بصرية تعبر عن الإيمان والعقيدة أضيفت على الأشياء التي يستخدمها المسلم كل يوم.



## عمارة الأرض في الإسلام (جميل عبدالقادر أكبر)

أخي القارئ لا يخفى عليك ما وصل إليه حال المسلمين اليوم من تخلف ووهن حضاري حتى فاتهم الركب بعد أن كانوا رواده، وكل هذا وكتاب الله وسنة رسوله بين أيديهم، فكيف يكون هذا وهو سبحانه القائل:

﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ  
لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ورسوله صلوات الله وسلامه عليه القائل: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه»، وفي كل لحظة تمضي، حتى وأنت تقرأ هذه الصفحات أخي القارئ، يزداد الوهن ويتسع خرق سفينة المسلمين لتغوص في أعماق محيط التخلف الحضاري، والواقعون في حيرة: كيف السبيل إلى النهوض؟ وما هو دور الإسلام والتخصصات المتفرعة؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومما زاد الخرق اتساعاً، وأداة الرقع ضعفاً، أن التخصصات المتفرعة المستوردة تهيأت في قمة زيتها وزخرفها بالتقنية وقوة المادة، فبهرت بذلك العقول، وأزاغت الأبصار، وغزت المؤسسات والأنظمة

فأرضة نفسها حتى على من هم حماة الإسلام وعلماء الأمة، شالة بذلك فكرهم عن ساحات المجتمع الفكرية، وراسمة لهم حدوداً لا يتعدوها، ومما زاد هذا الغزو خطورة أيضاً أنه جاء بصفة رسمية على شكل تخصصات نزيهة، ولكن الواقع هو أن هذه التخصصات ولدت ونشأت في بيئات تختلف تماماً عن بيئات المسلمين، ثم جاءت إلى المسلمين بثوبها الفضفاض الذي ستر حفرة دفنت أولئك المهتمين بقضايا مسيرة الأمة الإسلامية، فقرر بذلك أن الدين تخصص له أهله فلا احتكاك ولا تقارب، وجاء كل تخصص بلغة وطرانة لا يفهمها كثير من علماء الشريعة مما زاد الحفرة عمقاً ليعزل العلماء، والخرق سعة لتغوص الأمة في عمق التخلف، فانفصل بذلك دور كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه عن واقع الحياة وعن رسم المنهج للأمة الإسلامية في النهوض من كبوتها.

بعد كتابتي الكتاب باللغة الإنجليزية بعنوان «أزمة البيئة المبنية»: حالة المدينة الإسلامية وبعد تردد كبير أيقنت أنه لا مفر من كتابة كتاب آخر باللغة العربية، وبطريقة تخاطب المفكرين وعلماء الشريعة والمهنيين من مهندسين ومعماريين ومخططين ولم أكن أتوقع الصعوبات التي تنتظرني لأنني لم أتلمذ على يد أحد من علماء الفقه بالإضافة إلى أن مصطلحات العمارة والتخطيط، برغم فصاحة اللغة العربية، لم يُتفق على تعريبها، أو لم توجد البدائل العربية لاحتياجاتها، وكانت العقبة الأولى هي الأكبر في نفسي لخشيتي من الوقوع في سوء فهم بعض نصوص الشريعة وقواعدها، ولكن بعد ما رأيت الهوة العميقة بين مستحدثات واقعنا المعاصر وما هو موجود في كتب الشريعة من قواعد وأحكام، وتقصير العلماء في بناء الجسور لعبور هذه الهوة، كان لا بد

لي من الكتابة، ولكن بحذر، فأرجو منك أخي القارئ، وبالذات إن كنت من علماء الشريعة، أن تصحح لي حيث أخطأت، فكل ابن آدم خطأ، وكل واحد منا مأخوذ منه ومردود عليه، وأنا لا أجتهد في كتابي هذا، ومعاذ الله أن أفعل، فللاجتهد أهله، ولكن لأوضح فقط عظم الشريعة وملائمتها التامة لحياتنا المعاصرة في حقلي التخطيط والعمارة، في أنها تفوق جميع النظم الوضعية والنظريات المعاصرة، وإنني أتعجب لجمود أولئك المخططين والمهندسين عندما يصمّون آذانهم عن هذه المسائل ويحاولون إبعاد الشريعة عن هذه التخصصات بدعوى أنها إقحام غير ملائم، وأن المجتمع أدرى بشؤون دنياه، فمن خلال بحثي لمسائل بيتتنا ظهرت لي عظمة شريعتنا في هذا المجال، ووجدت أن علماء الشريعة المعاصرين لم يوفوا الموضوع حقه من البحث ربما لعدم إلمامهم بتخصص العمارة والتخطيط، وفي الجانب الآخر، وجدت أن غالبية المهندسين والمخططين المعاصرين ينظرون إلى المدن الإسلامية نظرة عاطفية مصحوبة بسوء في الفهم أحياناً، ولتوضيح هذين الاتجاهين أقول:

بالنسبة لاتجاه علماء الشريعة: قامت بعض الأبحاث الحديثة بدراسة مبادئ البناء في الشريعة الإسلامية وتوصلت إلى نتائج لا تتفق مع آراء جمهور علماء السلف مثل إحياء الأرض، فعلماء المالكية والشافعية والحنابلة وقليل من الحنفية أجازوا إحياء الأرض دون إذن الإمام، مثال آخر، أجاز مجمع الفقه الإسلامي في دورته الرابعة نزع الملكية الفردية للمصلحة العامة، وهذا مخالف لرأي جمهور علماء السلف باختصار، وجد العلماء أنفسهم في مأزق، فكان عليهم أن يسايروا المتطلبات الراهنة باجتهادات قد لا تتفق مع رأي الجمهور من العلماء بلي أعناق النصوص، وإلا اتهم الإسلام بالتخلف.

وكان حكم علماء الشريعة المعاصرين مبنياً على مشاهداتهم لتراكم مشاكل البيئة المعاصرة والتي ظهرت باستخدام القوانين الوضعية، فالقانون المصري مثلاً اعتبر الأراضي غير المملوكة، مثل الأراضي الموات جزء من أملاك الدولة ووضع قيوداً لإحيائها، وهذا أدى إلى ارتفاع أسعار الأراضي، ومما ساعد أيضاً على ارتفاع الأسعار زيادة الكثافة السكانية الناتجة عن السياسة المركزية للدولة التي ركزت أكثر الخدمات في المدن الرئيسية، مثل: الدوائر الحكومية والمعاهد والمصانع، وهذه استقطبت السكان من الأرياف إلى تلك المدن، وازداد الطلب على الأراضي، وكثرت التعديلات، وبالتالي كثرت القوانين للسيطرة على إحياء الأرض، وهكذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وهذا الارتفاع في أسعار الأراضي المصحوب بزيادة الكثافة السكانية، أدى إلى زيادة الكثافة البنائية، كعلو المباني مما أحدث خللاً في التركيب العمراني للمدينة، نتج عنه مثلاً أن شبكات الصرف الصحي لم تعد تحتل فضلات السكان.

ومن الأسباب التي ساعدت على إلغاء نظام إحياء الأرض في الدول الإسلامية الحملة القائلة بأن البيئة العمرانية الناتجة من الإحياء ستكون عشوائية لا محالة، لأن البيئة التقليدية في العالم الإسلامي كانت غير منظمة، حيث إن شوارعها غير صالحة لوسائل النقل الحديثة، وبها الكثير من الطرق الملتوية والضيقة ذات الساباطات والطرق غير النافذة، ومبانيها متلاصقة ومتماسكة دون ما فراغات بينها.

وبهذا تلقت المدينة التقليدية ركلات من جميع فئات المفكرين سواء كانوا مؤرخين أو مهندسين أو مخططين، وسنأتي على بعض أقوالهم، ولكن لنذكر الآن مثلاً واحداً، فتأمل أخي القارئ قول علي

باشا مبارك واصفاً القاهرة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري :  
«... وأما الحارات فكانت كثيرة الانعطافات، ضيقة المسالك، ليست  
على هيئة انتظامية، بل بعض البيوت بارز في الطريق والبعض داخل  
عنه، وهذا من أسفل، وأما الأعلى فكانت بعض المشربيات تتلاصق  
من جوانبها، وتتلاقى مع ما واجهها حتى تحدث ساباتاً مركباً على  
جميع الطرق، فضلاً عن الأسبطة الحقيقية».

أما في وصف المنازل فيقول: «وأكثر محلات الدار قليل النور  
والهواء اللذين هما من أساس الصحة، وقل أن تخلو من الرطوبات  
التي تتولد عنها الأمراض»، ثم يقول واصفاً المدينة عموماً: «وبالجملة  
فقد كان الخراب عمّ، والدمار طمّ، وكثير من التلال داخل وسط  
الأماكن، سوى ما في الخارج من التلال الشاهقة في الهواء، الممتدة  
إلى أمد بعيد، فإذا هبّت الريح فهي القيامة، ولا ترى إلا غباراً منبثاً  
على البيوت، متلفاً للصحة وللعيون».

فإذا كان هذا قول مسلمين ممن كتبوا عن المدينة الإسلامية فما  
بالك غيرهم كالمستشرقين، ومن مثل هذه الركلات ستقتنع أخي القارئ  
أنه إذا ما ترك أمر الإحياء لعموم الناس فإن الفوضى ستعمّ، ولا ألومك  
على ذلك لأن ما تراه بعينك من سوء البيئة الناتجة عن إحياء الناس  
للأراضي في أيامنا هذه لا يسرُّ أي مسلم، ولكن الكل يعلم أن السيارة  
لم تظهر إلا في هذا القرن، فكيف يلام نظام الإحياء على شيء لم  
يقترفه؟ وهل أعطي نظام الإحياء الفرصة لإنتاج بيئة مبنية في ظل  
الظروف الحالية واتباع شروطه المعروفة مثل حق المرور وحريم الأرض  
المحيية؟ باختصار، اتجه بعض علماء الشريعة للبحث عن مخارج في  
الشريعة الإسلامية لتلائم الظروف الحالية دون التعمق في فهم دور



## الشريعة في البيئة<sup>(١)</sup>.



---

(١) كتب العلامة الشيخ يوسف القرضاوي عن موضوع اهتمام الشريعة بالبيئة، والبعد الحضاري الناشئ عن هذا الاهتمام في كتابه النفيس: «رعاية البيئة في شريعة الإسلام».



## مصادر ومراجع البحث

- ١ - أباطيل وأسمار، محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٢ (١٩٧٢م).
- ٢ - ابن حزم - حياته وعصره -، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون ذكر الطبعة (١٤٢٥هـ).
- ٣ - الابتكار طعم آخر للحياة، عبد الحميد البلالي، دار إقرأ، الكويت، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٤ - أبيات القصيد، د. غازي القصيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ٥ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمود محمد حسين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٦ - أثر النزعة الجماعية في الفقه الإسلامي، د. نواره دري، دار ابن حزم، بيروت، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٧ - أحاديث المعازف والغناء، دراسة حديثة نقدية، محمد عبدالكريم عبدالرحمن، دار ابن حزم، بيروت، ط ١ (١٤٢٧هـ).
- ٨ - أحكام فن التمثيل، موسى الدالي، دار الرشيد، الرياض، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٩ - إحياء علوم الدين، الغزالي، دار الخير، دمشق، ط ١ (١٤١١هـ).
- ١٠ - آخر كلمات نزار... ذكريات مع شاعر العصر، عرفان نظام الدين، دار الساقى، بيروت، ط ١ (١٩٩٩م).
- ١١ - الأخلاق، أرسطو طاليس، ترجمة: إسحاق بن حنين، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١ (١٩٧٩م).

- ١٢ - أدب الفقهاء، عبدالله كنون، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ١٣ - أدب المرأة... دراسات نقدية، منشورات: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٨هـ).
- ١٤ - إرواء الغليل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢ (١٤٠٥هـ).
- ١٥ - الاستيعاب، ابن عبدالبر، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط ١ (١٤٢٤هـ).
- ١٦ - الأسرار في نتائج الأفكار - آلات مذهلة في ألف عام -، أحمد بن خلف المرادي، دار سرل ليونارد، إيطاليا، ط ١ (٢٠٠٨م).
- ١٧ - الإسلام منهج حياة، د. فيليب حتي، نقله إلى العربية: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١ (١٩٧٢م).
- ١٨ - الإسلام والفن، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١ (١٤١٦هـ).
- ١٩ - الإسلام والفنون الجميلة، خالد الأصور، دار الوفاء، القاهرة، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ٢٠ - الإسلام والفنون الجميلة، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط ١ (١٤١١هـ).
- ٢١ - الإسلام والفنون، د. أحمد الريسوني، دار الكلمة للدراسات، القاهرة، ط ١ (١٤٢٦هـ).
- ٢٢ - الإسلام والفنون، د. بركات محمد مراد، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ط ١ (٢٠٠٧م).
- ٢٣ - إشكالية التحيز في الفن والعمارة، عدد من المؤلفين، تحرير: أ.د. عبدالوهاب المسيري، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٢٤ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٢٥ - أطلس الحضارة الإسلامية، د. إسماعيل الفاروقي، د. لميا الفاروقي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤١٩هـ).

- ٢٦ - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت صالح، دار الفكر، عمان، ط٢، دون ذكر سنة النشر.
- ٢٧ - الإعلام بنقد الحلال والحرام، د. صالح الفوزان، دار المعارف، الرياض.
- ٢٨ - الإعلام في العالم العربي بين التحرير وإعادة إنتاج الهيمنة، عبدالكريم العبدلاوي، وعصام الدين محمد حسن، ومحمد قطيشات، مركز القاهرة للدراسات وحقوق الإنسان، القاهرة، ط١ (٢٠٠٧م).
- ٢٩ - الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق، مركز دراسات الوحدة الوطنية، بيروت، ط٣ (٢٠٠١م).
- ٣٠ - أغاني الخبرة والحيرة والبراءة، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط١ (١٤٢٤هـ).
- ٣١ - آفاق الجمال، محمد أحمد الراشد، دار المحراب، كندا، ط١ (١٤٢٢هـ).
- ٣٢ - آفاق الفن، ألكسندر إليوت، مركز الشارقة للإبداع الفكري، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
- ٣٣ - آفاق القيمة، رالف بارتن بيرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون ذكر المطبعة (١٩٦٨م).
- ٣٤ - اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ٣٥ - الإمام بغزل الفقهاء الأعلام، د. غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢ (٢٠٠٢م).
- ٣٦ - الأم، الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٤٠٠هـ).
- ٣٧ - الإمام ابن حزم ومنهجه التجديدي في أصول الفقه، عبدالسلام عبدالكريم، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١ (١٤٢٢هـ).
- ٣٨ - الإمام الشوكاني وآراؤه الأصولية، د. شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (١٤٢٩هـ).
- ٣٩ - الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د. سعيد بن ناصر الغامدي، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١ (١٤٢٤هـ).

- ٤٠ - إنصاف الإمام الذهبي.. الرجال المختلف في شأنهم مستخرجاً من كتابه (سير أعلام النبلاء)، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٤١ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المَزداوي، دار الهجرة، والكتاب طبع مع كتاب المقنع، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، (١٤١٩هـ).
- ٤٢ - أهل الإسلام والتفلت من ظاهر الالتزام، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٤٣ - أوروبة من التقنية إلى الروحانية، د. محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، دمشق.
- ٤٤ - بحث في حكم التمثيل وتمثيل الصحابة (رضي الله عنهم)، العلامة: عبدالله بن بيه (مخطوط).
- ٤٥ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لمحمد الطوري القادري، دار الكتب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ٢، (١٤١٨هـ).
- ٤٦ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢ (١٤٠٢هـ).
- ٤٧ - بين الفن والفقه، رجب أبو مليح، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٤٨ - تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ).
- ٤٩ - تجارب الإعلام المرئي والمسموع في أوروبا، مجموعة مؤلفين، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ط ١ (٢٠٠٧م).
- ٥٠ - تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبدالحليم أبو شقة، دار القلم، الكويت، ط ٥ (١٤٢٠هـ).
- ٥١ - تحريم آلات الطرب، الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل الصناعية، ط ٢ (١٤١٨هـ).
- ٥٢ - التدوين الفني، د. سلوى محمد حسن، دون ذكر الطبعة والناشر (١٤٢٩هـ).

- ٥٣ - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.
- ٥٤ - التطرف الديني الرأي الآخر، د.صلاح الصاوي، الآفاق الدولية للإعلام، القاهرة، ط١ (١٤١٣هـ).
- ٥٥ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٠٧هـ).
- ٥٦ - تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، الرياض، ط٢ (١٤٢٣هـ).
- ٥٧ - تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ٥٨ - التمهيد، ابن عبد البر، الفاروق للطباعة والنشر، بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ٥٩ - التنصير، أكرم عبدالستار كساب، مركز التنوير الإسلامي، مصر، بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ٦٠ - جامع القرآن في تأويل القرآن، الطبري، دار العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٢هـ).
- ٦١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ).
- ٦٢ - الحاجة وأثرها في الأحكام، د. أحمد الرشيد، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).
- ٦٣ - حاشية الدسوقي على شرح الدردير لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
- ٦٤ - حاشية تبیین الحقائق، الزيلعي، طبعة مصورة.
- ٦٥ - حراسة الفضيلة، د. بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٨ (١٤٢١هـ).
- ٦٦ - حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، الشاطبي، دار الهادي، المدينة المنورة، ط٣ (١٤١٥هـ).
- ٦٧ - حسن البناء وتجربة الفن، عصام تليمة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤٢٩هـ).

- ٦٨ - حصوننا مهددة من داخلنا، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨ (١٤٠٤هـ).
- ٦٩ - حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، صالح بن أحمد الغزالي، دار الوطن، الرياض، ط ١ (١٤١٧هـ).
- ٧٠ - الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١٥ (١٤١٥هـ).
- ٧١ - الحلبي الذهبية والفضية، سلسلة كنوز متحف قطر الوطني، د. نجلة العزي، وزارة الإعلام بقطر، إدارة السياحة والآثار.
- ٧٢ - حوار مع متطرف، علاء آل رشي، مركز الناقد الثقافي، دمشق، ط ١ (٢٠٠٨م).
- ٧٣ - حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١ (١٤١٨هـ).
- ٧٤ - خطط الشام، محمد كردعلي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١ (١٤٢٨هـ).
- ٧٥ - خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤ (١٤١٣هـ).
- ٧٦ - خواطر تلميذ مقموع، د. عبدالله الحامد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١ (١٤٢٤هـ).
- ٧٧ - دراسات في الجمال والفن، د. وفاء إبراهيم، دار غريب، القاهرة، (٢٠٠٠م).
- ٧٨ - دراسة في فقه مقاصد الشريعة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط ١ (١٤٢٨هـ).
- ٧٩ - دمشق صور من جمالها، علي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، ط ٢ (١٤١٧هـ).
- ٨٠ - دمشق نزار قباني، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط ٨ (١٩٩٥م).
- ٨١ - ديوان عبدالله البردوني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط ٢ (١٤٢٥هـ).
- ٨٢ - رجل القدر ... سعيد النورسي، أورخان محمد علي، دار الفضيلة، القاهرة، دون ذكر الطبعة وسنة النشر.



- ٨٣ - رحلتي الفكرية، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط ١ (١٤٢٦هـ).
- ٨٤ - الرد على القرضاوي والجديع، عبدالله رمضان بن موسى، دار المؤيد، الرياض، ط ١ (١٤٢٨هـ).
- ٨٥ - رسائل التغيير، د. مولاي الشريف، دار الأمة، الرياض، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٨٦ - رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط ٢ (١٤٢٧هـ).
- ٨٧ - رفاق الكفاح، كواسي محمد، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، (١٩٨٤م).
- ٨٨ - الروح الجمالية، محمد أحمد الراشد، دار الأمة، الرياض، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٨٩ - الروض المربع بشرح زاد المستقنع، البهوتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ (١٤١٠هـ).
- ٩٠ - روضة الطالبين، النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤ (١٤١٥هـ).
- ٩١ - الريح القاصف على أهل الغناء والمعازف، ذياب بن سعد الغامدي، مكتبة المزيني، الطائف، ط ٢ (١٤٣٠هـ).
- ٩٢ - زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة بدمشق (١٩٩٦م).
- ٩٣ - السفينة، د. عائض القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٩٤ - سقوط الخلافة العثمانية، د. عبداللطيف الحميد، دار العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤١٦هـ).
- ٩٥ - سلفي في الكافيه، د. علي بن حمزة العمري، مؤسسة الأمة، الرياض، ط ٢ (١٤٢٩هـ).
- ٩٦ - السماع، ابن القيسراني، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
- ٩٧ - سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٩٩هـ).

- ٩٨ - سنن أبي داود، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، محمد علي السيد، دار الحديث، حمص، ط ١ (١٣٨٨هـ).
- ٩٩ - سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، المكتبة الإسلامية، بيروت.
- ١٠٠ - سنن الدارقطني، الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وحسن عبدالمنعم، وعبداللطيف حرز الله، وأحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٢٤هـ).
- ١٠١ - سنن الدارمي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، ط ١ (١٤١٢هـ).
- ١٠٢ - السنن الصغرى، المنة الكبرى شرح وتخرىج السنن الصغرى، لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١ (١٤٢٣هـ).
- ١٠٣ - السنن الكبرى، للبيهقي، طبعة الهند، (١٣٥٢هـ).
- ١٠٤ - السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٦هـ).
- ١٠٥ - سنن النسائي الكبرى، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ).
- ١٠٦ - السياسة الشرعية، ابن تيمية، الدار العثمانية، عمان، ط ١ (١٤٢٧هـ).
- ١٠٧ - سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق وإشراف: شعيب الأرناؤوط وحسن الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦ (١٤٠٩هـ).
- ١٠٨ - السيف اليماني على من أباح الأغاني، محمد الإمام، دار الحديث، اليمن، ط ١ (١٤٢٧هـ).
- ١٠٩ - شخصيات وأفكار، د.عدنان زرزور، دار الإعلام، الأردن، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ١١٠ - الشرح الكبير، للدردير، بهامش حاشية الدسوقي على متن خليل، دار الفكر للنشر والتوزيع.
- ١١١ - شرح صحيح مسلم، النووي، دار الخير، دمشق، ط ١ (١٤١٤هـ).
- ١١٢ - الشريعة الإسلامية والفنون، أحمد مصطفى القضاة، دار الجيل، بيروت، ط ١ (١٤٠٨هـ).

- ١١٣ - الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٤ - الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، محمد العثيمين، دار القاسم، الرياض، ط ٣ (١٤١٦هـ).
- ١١٥ - صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣ (١٤١٨هـ).
- ١١٦ - صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقى.
- ١١٧ - صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، ط ٥ (١٤١٩هـ).
- ١١٨ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، سنا الفاروق للنشر، جدة.
- ١١٩ - صورة ذهنية عند اللقاء الأول: ظاهري بالفطرة، أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ١٢٠ - الصورة والجسد - دراسات نقدية في الإعلام المعاصر -، د. محمد حسام الدين إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١ (٢٠٠٨م).
- ١٢١ - الصناعات الفضائية في عُمان، رُوت هولبي، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، ط ٢ (١٩٨٢م).
- ١٢٢ - صياغة الذهب التقليدية في قطر، د. نجلة إسماعيل العزي، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، ط ١ (١٩٨٨م).
- ١٢٣ - ضرورة الفن في التعليم الجامعي، د. حنان دقمان، نشر خاص بالمؤلف، (٢٠٠٥م).
- ١٢٤ - الطريق إلى القلوب، عباس السيسي، دار الاعتصام، القاهرة.
- ١٢٥ - عظماء بلامدارس، د. عبدالله جمعة، دار العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٨هـ).
- ١٢٦ - علماء الأندلس إبداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوروبية، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ١٢٧ - علم الجمال، د. وفاء محمد إبراهيم، دار غريب، القاهرة، بدون ذكر المطبعة والسنة.
- ١٢٨ - العلمانية... نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر الحوالي، مكتبة الطيب، القاهرة، ط ٢ (١٤٢٠هـ).

- ١٢٩ - عمارة الأرض في الإسلام، جميل عبدالقادر أكبر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١ (١٤١٢هـ).
- ١٣٠ - العمارة الدعوية، محمد أحمد الراشد، دار الأمة، الرياض، ط١ (١٤٣٠هـ).
- ١٣١ - العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، د. الشيخ الأمين عوض الله، مكتبة المتنبى، الدمام، ط١ (١٤٢٦هـ).
- ١٣٢ - العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، د. تاج السر أحمد حران مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ (١٤٢٨هـ).
- ١٣٣ - العمل قدرة وإرادة، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢ (١٤١٤هـ).
- ١٣٤ - الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، مكتبة السنة، القاهرة، ط١ (١٤١٠م).
- ١٣٥ - غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤ (١٤١٤هـ).
- ١٣٦ - الغناء والمعازف في الإعلام المعاصر وحكمها في الإسلام، محمد عبدالرحمن المرعشلي، وتقديم الدكتور: وهبة الزحيلي، دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ).
- ١٣٧ - الغناء والموسيقى بين الإباحة والتحريم، د. المكي أفلانية، دار الكلمة، القاهرة، ط١ (١٤١٩هـ).
- ١٣٨ - فتاوى الشعراوي، القاهرة، دون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ١٣٩ - فتاوى علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط٤ (١٤١١هـ).
- ١٤٠ - فتاوى محمد أبو زهرة، دار القلم، دمشق، ط١ (١٤٢٨هـ).
- ١٤١ - فتاوى مصطفى الزرقا، دار القلم، دمشق، ط١ (١٤٢٠هـ).
- ١٤٢ - فتاوى معاصرة، د. يوسف القرضاوي، دار القلم، الكويت، ط١٠ (١٤٢٤هـ).
- ١٤٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٠هـ).

- ١٤٤ - الفسيفساء في تونس، جورج فرادين، اندري مارتن، دار سيراس للنشر، تونس، (١٩٨٢م).
- ١٤٥ - فقه الجهاد، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤٣٠هـ).
- ١٤٦ - فقه الضرورة والحاجة بين القواعد الفقهية والأدلة الأصولية وتطبيقاتهما المعاصرة، د.علي بن حمزة العمري، (مخطوط).
- ١٤٧ - فقه العصر، محمد الحسن الددو الشنقيطي، حوار: د. عادل باناعمة، اعتنى به: د. علي بن حمزة العمري، دار الأمة، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).
- ١٤٨ - فقه العلاقة بين الرجل والمرأة، د. علي بن حمزة العمري، الرسالة الثانية من هذه السلسلة (سلسلة الثقافة الحيوية)، (مخطوط).
- ١٤٩ - فقه الغناء والموسيقى، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤١٤هـ).
- ١٥٠ - الفكر المقاصدي... قواعده وفوائده، د. أحمد الريسوني، دار الهادي، بيروت، ط١ (١٤٢٤هـ).
- ١٥١ - الفن الإسلامي... التزام وابتداع، صالح الشامي، دار المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٤٠٨هـ).
- ١٥٢ - الفن الإسلامي والمسيحية العربية - دور المسيحيين العرب في تكوين الفن الإسلامي -، شاكِر لعبي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١ (٢٠٠١م).
- ١٥٣ - الفن الجداري، د. بركات سعيد محمد، عالم الكتب، القاهرة، ط١ (١٤٢٨هـ).
- ١٥٤ - الفن المملوكي، وزارة الثقافة المصرية، الدار المصرية اللبنانية، (٢٠٠٧م).
- ١٥٥ - الفن الواقع والمأمول، د. خالد الجريسي، مؤسسة الجريسي، الرياض، ط٢ (١٤٢٩هـ).
- ١٥٦ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، النّفرواي، دار الفكر، بيروت.

- ١٥٧ - فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط١ (١٤٢٨هـ).
- ١٥٨ - في رحاب الفكر الإسلامي، يوسف العظم، جامعة الزرقاء الأهلية، عمان، ط١ (١٤٢٠هـ).
- ١٥٩ - في الفن التشكيلي والمعماري، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط١ (١٤٢٨هـ).
- ١٦٠ - فيما وراء الحدود - الفن الإسلامي عبر الثقافات -، إعداد: فريق متحف الفن الإسلامي بقطر، طبع: اسولين، باريس، (٢٠٠٨م).
- ١٦١ - في الميزان... غوستاف لوبون، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤١٠هـ).
- ١٦٢ - في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط١ (١٤٢٨هـ).
- ١٦٣ - القبس شرح موطأ مالك بن أنس، ابن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٢م).
- ١٦٤ - القاموس المحيط، الفيروزآبادي، المطبعة الأميرية، مصر، ط٣ (١٤٠١هـ).
- ١٦٥ - قضايا دعوية معاصرة، د. علي بن حمزة العمري، دار الأمة، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).
- ١٦٦ - قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، د. مصطفى مخدوم، دار أشبيليا، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ).
- ١٦٧ - كشف القناع على متن الإقناع، البهوتي، مكتبة النصر الحديثة. بدون ذكر سنة النشر والطبعة.
- ١٦٨ - كنوز التحف المعدنية في القصور الإسلامية، جيمس آلان، فرانس ماديسون، (٢٠٠٢م).
- ١٦٩ - لبنان أرض وناس، جورج الزعني، عصام خليفة، منشورات الجامعة اللبنانية.
- ١٧٠ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣ (٢٠٠٤م).
- ١٧١ - مؤشرات إسلامية في زمن السرعة، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط١ (١٤٢٨هـ).

- ١٧٢ - ما الجمال؟، أورشان محمد علي، مؤسسة الأمة، الرياض، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ١٧٣ - مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة، د. هاني القحطاني، مركز وحدة الدراسات العربية، بيروت، ط ١ (٢٠٠٩م).
- ١٧٤ - المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٦هـ).
- ١٧٥ - متحف الفن الإسلامي، فيليب جوديدو، وآخرون، دار برستل فرلاغ، لندن، (٢٠٠٨م).
- ١٧٦ - متحف الفن الإسلامي، ياسمين الرشيد، نيكولاس فيراندو، وآخرون، دار برستل فرلاغ، لندن، (٢٠٠٨م).
- ١٧٧ - المتعلق بين الخطاط والفنان - وقائع الندوة الفنية التداولية - الشارقة، إعداد: طلال معلا. منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط ١ (٢٠٠٧م).
- ١٧٨ - متعة الحديث، عبدالله الداود، دار الرواد للنشر، الرياض، ط ٩ (١٤٢٩هـ).
- ١٧٩ - مجموع فتاوى ابن تيمية، طبع: المكتب التعليمي السعودي بالمغرب. بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ١٨٠ - محاضرات الموسم الثقافي السادس عشر، مجموعة مؤلفين، مؤسسة الثقافة والفنون، المجمع الثقافي، أبو ظبي (٢٠٠٠م).
- ١٨١ - محاضرات نويل، نقله إلى العربية: عبد الإله الملاح، دار العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ١٨٢ - المحلى، ابن حزم، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ٢ (١٤٢٢هـ).
- ١٨٣ - المختار من طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، اختيار: د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ١٨٤ - مختصر ابن عبد الحكم مع شرح الأبهري. نسخة مصورة.
- ١٨٥ - مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. مصدق حسن، دار النهضة، دمشق، ط ١ (١٤٢٧هـ).
- ١٨٦ - مدخل إلى الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١ (١٤٢٦هـ).

- ١٨٧ - مدخل في العدل الاجتماعي، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ١٨٨ - مدخل في موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط (١٤١١هـ).
- ١٨٩ - المدونة الكبرى، دار الفكر، بيروت، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ١٩٠ - المرأة والمسرح في لبنان، د. وطفاء حمادي هاشم، دار المدى للنشر، سوريا، ص ١ (٢٠٠٢م).
- ١٩١ - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ط ٤، (١٩٩١م).
- ١٩٢ - مسند أبي يعلى، دار المأمون، دمشق، ط ٢ (١٤١٠هـ).
- ١٩٣ - مسند الإمام أحمد، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ).
- ١٩٤ - مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١ (١٤١٦هـ).
- ١٩٥ - المصباح المنير، الفيومي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، بدون ذكر الطبعة وسنة النشر.
- ١٩٦ - المصنف، ابن أبي شيبة، تحقيق: حمدي الجمعة، ومحمد اللحيدان، مكتبة الرشد، بيروت، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ١٩٧ - معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، د. عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط ٤ (١٤٢٥هـ).
- ١٩٨ - مع المستشار عبدالله العقيل في ترجماته، د. جابر قميحة، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ط ٢ (١٤٢٩هـ).
- ١٩٩ - المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، طبعة مصورة.
- ٢٠٠ - المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلمين، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ (١٤٢٠هـ).
- ٢٠١ - مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، د. أميرة حلمي مطر، دار غريب، القاهرة، ط ٣، بدون ذكر سنة الطبع.



- ٢٠٢ - المقدمة، ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
- ٢٠٣ - من غزل الفقهاء، علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة.
- ٢٠٤ - منهج ابن حزم الظاهري في تجهيل الرواة وأثره على فقهه، د. فريد هادي، (مخطوط).
- ٢٠٥ - منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٦ (١٤٠٣هـ).
- ٢٠٦ - مواهب الجليل، الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٥م).
- ٢٠٧ - موسوعة الحضارة الإسلامية، إشراف: وزير الأوقاف المصري محمود حمدي زقزوق، إعداد: عدد من العلماء والباحثين، إصدار: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، (١٤٢٦هـ).
- ٢٠٨ - الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ٢٠٩ - الموسيقى والغناء في ميزان الإسلام، عبدالله الجديع، مؤسسة الريان، بيروت، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ٢١٠ - ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام، صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٤٠٨).
- ٢١١ - ندوة المؤتمر الأول لرابطة الفن الإسلامي العالمية الأول، إصدار: رابطة الفن الإسلامي العالمية، ط ١ (١٤٢٧هـ).
- ٢١٢ - النشيد الإسلامي المعاصر... نشأته ووظيفته... أحكامه وضوابطه، د.علي بن حمزة العمري، مركز الراية، جدة، ط ١ (١٤٢٧هـ).
- ٢١٣ - نظرات في مواقف الإسلاميين من الفنون، د. محمد ياقوت، مؤسسة الرشيد للإعلام، الرياض، (١٤٢٩هـ).
- ٢١٤ - نيل الأوطار، الشوكاني، مطبعة البابي، مصر، (١٩٥٢م).
- ٢١٥ - هل يكذب التاريخ، عبدالله الداود، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ٢١٦ - وادي حضرموت - هندسة العمارة الطينية -، سلمى سمر الدمولوجي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط ١ (١٩٩٥م).

٢١٧ - وحدة الفن الإسلامي، مركز الفيسل للبحوث والدراسات الإسلامية، (١٤١٥هـ).

٢١٨ - وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، القاهرة، بدون ذكر المطبعة والسنة.

٢١٩ - الوسيط، الغزالي. دار إحياء التراث، بيروت.

٢٢٠ - اليوم العالمي للمسرح، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ط ١ (٢٠٠٧م).

### الدوريات:

٢٢١ - بحث د. صالح بن حميد، ضمن فعاليات مؤتمر: الدعوة والفن، الذي أعدته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض.

٢٢٢ - صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١١٢٨٧)، في ٤/١١/١٤٣٠هـ.

٢٢٣ - مجلة الأزهر، القاهرة.

٢٢٤ - مجلة العربي، الكويت العدد (٦١٠)، شوال (١٤٣٠هـ).

٢٢٥ - المجلة العربية، شهر شعبان (١٤٢٩هـ).

٢٢٦ - مجلة سيدتي، شهر شوال (١٤٢٩هـ).

٢٢٧ - مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد (٣١، ٣٥)، في: جمادى الأولى (١٤٢٧هـ).

٢٢٨ - مجلة لها، العدد (٣٠٠).

٢٢٩ - مجلة المجتمع، العدد (٧٣٢).

٢٣٠ - موقع جريدة الرياض، زاوية حول العالم.

٢٣١ - ملحق الدين والحياة بصحيفة عكاظ السعودية، في ٢٩ ذو القعدة (١٤٢٩هـ).

٢٣٢ - ملحق الرسالة بصحيفة المدينة السعودية، في: ١٦ ذو القعدة (١٤٢٩هـ)، و ١٨ ذو القعدة (١٤٣٠هـ).



## الفهرس التفصيلي

الموضوع	الصفحة
* قصيدة بديعة لشاعر اليمن (عبدالله البردوني) عن فلسفة الفن .....	٧
● الفصل الأول:	
* لماذا الحديث عن الفن؟ .....	١٤
* حقائق معاصرة حول مصطلح الفن، وما كانت تعنيه عند المتقدمين والمتأخرين، والملحوظات عن الدراسات المعاصرة عن الفن .....	١٨
* تعريف ودلالات الفن عند الإسلاميين وغيرهم، وأوجه التشابه والاختلاف بينهما .....	١٩
* كتب ناقشت الانحرافات المدسوسة في عدد من الدراسات والبحوث مدخلة عنصر الفن والأدب كمعبر للانحراف .....	٢٣
● الفصل الثاني:	
* الفنون اليدوية... صورها... وأحكامها.....	٢٧
* اختلاف العلماء حول رسم صورة ذات الروح كاملة، وكذا المجسمات، وأبعاد المسألة .....	٣٢
* الأثر الجمالي للفن التشكيلي .....	٣٤
* قصص واقعية ومؤثرة من عالم الفن التشكيلي .....	٣٥
* أثر الفن التشكيلي على الانحراف الفكري من خلال تجربة السجناء في السعودية .....	٣٩
* التفات أعداء الإسلام لقيمة المتاحف والمكتبات الإسلامية، وعيهم بها (العراق نموذجاً) .....	٤٠

- ٤١ \* استخدام موسيقى الرب لتعذيب سجناء جوانتانامو .....
- ٤٢ \* فن التصوير الفوتغرافي... أحكامه ورأي العلماء المعاصرين في بعده وأثره .....
- ٤٣ \* أهمية الفن المعماري، وملاحظات نقدية خطيرة حول الكتب والدراسات عن (العلوم والفنون) وربطها بالحضارة الإسلامية .....
- ٤٤ \* أثر الأفلام والمسلسلات على الساحة السياسية والاجتماعية وعرض قصص واقعية .....
- ٤٩ \* نقل تجارب وزيارات ميدانية عن المتاحف حول العالم وعرض بعض الإصدارات .....
- ٥٣ \* أحكام تفصيلية عن الفنون البصرية، تشمل تمثيل الملائكة، والصحابة، والأنبياء، والصالحين .....
- ٦٠ \* نقاش حول تمثيل المرأة .....
- ٦٤ \* حال السينما أيام الشيخ علي الطنطاوي .....
- ٦٥ \* الدور المطلوب للفن المسلم من وجهة نظر الفيلسوف د. عماد الدين خليل .....
- ٦٨ \* أحكام الفنون الصوتية التي تشمل: الدفوف والطبول وما شابهها، والآلات المعاصرة (الإيقاعات عبر الكمبيوتر)، والموسيقى .....
- ٧٩ \* هل العبرة في التحريم بوجود الآلة الموسيقية، أم بالنتائج الصوتية الشبيهة بالموسيقى؟ .....
- ٨٠ \* ضوابط وتوجيهات أثناء السماع .....
- ٨٣ \* ملاحظات حول النظر إلى مسألة الموسيقى من قبل بعض الكتّاب .....
- ٨٣ \* المتفق والمختلف عليه في مسألة الموسيقى، وشواهد واقعية عن هذا الموضوع .....
- ٨٤ \* دراسة عن أثر الإعلام المعاصر (الفيديو كليبات) على الهوية .....
- ٨٦ \* اعتراف مؤثر وقول فصل للعلامة (ابن عقيل الظاهري) عن تجربته في سماع الغناء .....
- \* ملاحظة حول ما ذكره العلامة د. يوسف القرضاوي في مسألة سماع

- ٨٨ ..... الموسيقى
- ٨٨ ..... \* مناقشة أدلة الموسيقى بالتفصيل
- ٩٧ ..... \* آراء أصحاب المذاهب الأربعة في المسألة
- ..... \* اجتهدات مبيحي المعازف، (وفي مقدمتهم حجة الإسلام الإمام الغزالي، والإمام الفقيه ابن حزم)، والضوابط التي ذكروها في السماع، والتي لا تنطبق على واقع اليوم في الأعم الأغلب
- ١٠٠ ..... \* رأي الإمام ابن تيمية في مسألة السماع وكذا تلميذه ابن القيم في مساحة استخدام الباطل المختلف عليه، وضابط ذلك
- ١٠٣ ..... \* ملاحظات مهمة حول كتابات الباحثين المعاصرين وردودهم في موضوع المعازف
- ١٠٦ ..... \* الفصل الثالث:
- ١١٠ ..... \* إنسانية الفن الإسلامي
- ١١١ ..... \* الفن والدعوة
- ١١٣ ..... \* الفن بين الممارسة المهنية والهواية الذاتية
- ١١٤ ..... \* قواعد مهمة لمن أراد التدريب في مجال الفن الواسع
- ١١٨ ..... \* الفن والحضارة
- ١٢٠ ..... \* المكتسب من ربط الفن بالحضارة
- ١٢١ ..... \* الفن والجمال
- ١٢٢ ..... \* الجمال في الفلسفة الغربية، ومعايره
- ١٢٩ ..... \* الجمال في الفلسفة الإسلامية
- ١٣٣ ..... \* ساحة الفن اليوم والدور الرسالي المطلوب
- ١٣٩ ..... \* خلاصات مركزة حول موضوع الرسالة
- ١٤١ ..... \* حكمة للأستاذ (جودت سعيد) عن نظرة القراء للأعمال البحثية
- ..... \* ملحق مهم عن المقدمات الفنية لعدد من الدراسات القيمة من خلال الاطلاع على المكتبات والمراكز العلمية في باريس، وقطر، وغيرهما ...
- ١٤٢



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٩
المقدمة	١١
الفصل الأول: مفهوم الفن وأثره	١٥
الفصل الثاني: صور الفن وأحكامه	٢٦
الفصل الثالث: إنسانية الفن وفلسفته	١١٠
بعض الخلاصات والفوائد من ثنايا البحث	١٣٩
المصادر والمراجع	١٨١
الفهرس التفصيلي	١٩٧



سلسلة الثقافة الحيوية  
رؤية وسطية... لقضايا عصرية

- (١) الفن المعاصر... صورته وآثاره... فلسفته وأحكامه.
- (٢) فقه العلاقة بين الرجل والمرأة.
- (٣) الانفتاح... الواقع والقواعد.
- (٤) أثر علم أصول الفقه في الفكر الإسلامي.
- (٥) الفكر الفقهي.. دراسات على مستوى الشكل والمضمون والمنهج.

